كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الطَّرَديَّاتُ الفَهْديَّة إلى نهاية العَصْر العَبَّاسِيّ
(تاريخُها، ومحتواها الفَنِّيّ)

إعداد

د/ محمد شمس كامل عُقاب

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الثاني)

(١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)

الطَّرَديَّاتُ الفَهْديَّة إلى نهاية العَصْر العَبَّاسِيّ
(تاريخُها، ومحتواها الفَنِّيّ)

د. محمد شمس كامل عُقاب
قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – مصر
البريد الجامعي الإلكتروني: mohamed.shams@alexu.edu.eg

الملخص :
أراد هذا البحث أن يخصَّ الطرديات الفهدية وحدها بالدراسة؛ لما تتمتع به من خصوصية وامتداد في تاريخ الشعر العربي، إلى نهاية العصر العباسي. وقد انبرى البحث بعد استقراء شعر الطرديات وشعرائه إلى نقد مصادر هذا الشعر، وتبيين قيمتها في الرواية والضبط، وإظهار ما له الأصالة منها من غيره، وقد كان عدد الشعراء ١٧ شاعرًا، عرَّف بهم البحث، وعدد الطرديات ٢٤ طردية ما بين قصيدة ومقطَّعة. ثم درس البحث المحتوى الفني في الطرديات الفهدية، وأهم ما تختصُّ به من خصائص فنَّية: في الأوزان، فبيّن ما كان منها على بحر الرجز، وما كان على غيره، ومسألة الغرابة، والتركيب القصصي النمطي السائد في هذا الشعر، وتصوير الفهد وأعضائه، وتصوير مشهد الصيد وأحاسيس الطريدة.

كلمات مفتاحية: الطرديات – شعر الطرديات – الطرديات الفهدية – شعر الصيد – الشعر العباسي – الأدب العباسي.

Poetry Hunting by Leopards (Al-Taradiyat Al-Fahdiya) until the end of the Abbasid era - history and artistic content

Mohammad Shams Kamel Uqab
Department of Arabic Language – Faculty of Art – Alexandria University – Egypt.
E-mail: mohamed.shams@alexu.edu.eg

Abstract:

This paper wanted to study Poetry hunting by leopards alone. Because of its specificity and extension in the history of Arabic poetry, to the end of the Abbasid era. After extrapolating the poetry of (Al-Taradiyat Al- Fahdiya) and its poets, the research began to critique the sources of this poetry, to clarify its value in the novel and fine-tuning, and to show its originality from others. Then the research examined the artistic content in this poetry, and the most important artistic characteristics that are concerned with it: in the music of poetry, showing what was on the Rgaz and what was on others, the issue of strangeness, the stylistic structure prevalent in this poetry, and the depiction of leopards and their body parts, and the depiction Hunting scene and the sensations of prey.

Keywords: **Al-Taradiyat, Poetry of Al-Taradiyat, Poetry of Al-Taradiyat Al- Fahdiya, Poetry Hunting by Leopards, Hunting Poetry, Abbasid Poetry, Abbasid Literature.**

تقديم

كُتبتْ بحوثٌ في الطرديَّات الكلبيَّة، وفي الطرديَّات بعموم في شعرنا القديم، ولم أجد من اعتنى بالطرديات الفهدية على وجه الخصوص، على ما في هذا الموضوع من طرافة، وما فيه من الدلالة على مظهرٍ من مظاهر حضارة العرب في تلك الحِقَب الزمنية.

لم يُجمع شعراء هذه الطرديات في نَسَقٍ يُعِين على تبصُّرها، ولم يُعتنَ بتوثيق أشعارٍ وقع الشك في نسبتها منها؛ لم يؤرَّخ لهذه الطرديات أدبيًّا.

ولم يُفحص محتوى هذه الطرديات الفني، ومدى العاطفيَّة واللفظيَّة فيها؛ أعني قصد التكلُّف بألفاظ غرابٍ ليس وراءها كبير معنى، كما وقع في طرديَّاتٍ أخرى كثيرة، لم تُدرس الصورة الفنية فيها، ولا الموسيقا؛ لم يُصنع هذا في نسق فنِّيٍ واحد؛ فرغبت – لأجل هذا كلِّه – إلى الكتابة في هذا الموضوع.

وليست الغاية من هذا البحث التقصِّي وحشد الأمثلة –على أن الأمثلة ربما بدتْ كثيرة لطول المدة الزمنية المدروسة، ولكثرة الشعراء المذكورين– بل الغاية منه الوقوف على نماذج ثابتةٍ تهدينا إلى أحكامٍ صحيحةٍ في البحث: تاريخيًّا وفنّيًا.

والمدة التي اخترتها تمتدُّ من العصر الأموي – إذ لم أقع على طرديات فهديَّة قبله – إلى نهاية العصر العباسي؛ حتى نطَّلع على التسلسل الذي سارت فيه الطرديات الفهديَّةُ وأصحابُها، ولأنه يمكن لفْقُ هذه الطرديات جميعًا في بحثٍ واحد. أي : إن البحث يبدأ من آخر الدولة الأموية في الثلث الأول من القرن الثاني، وينتهي تقريبًا في منتصف القرن السابع، أي أنه سائرٌ في رحلة ستة قرون كاملة.

وقد جاء عنوان البحث: "الطَّرَديَّات الفهدية إلى نهاية العصر العباسي: تاريخُها، ومحتواها الفَنِّيّ"، وهو يقتضي منهجين في الدراسة: المنهج التاريخي، ومنهج التحليل الفنيّ.

وقد قسمتُه قسمين: قسمًا للدراسة التاريخية للشعراء والقصائد، وقسمًا للمحتوى الفني الذي اشتملت عليه هذه الطرديات، من غير إطالةٍ تخرج بالبحث عن مبتغاه.

ولم أُحِلْ في قسم (المحتوى الفني) على مظانّ الأبيات؛ لئلا تنتفخ الهوامش؛ فإني سأذكر مظانَها في الدراسة التاريخية عند ذكر كل شاعر.

الدراسات السَّابقة:

لم أجد من خصَّ الطرديَّات الفهديَّة في العصر العبَّاسيّ ببحثٍ من قبل، عارضًا تاريخها وعناصرها الفنّيَّة، وإن كانت هناك دراساتٌ تتعلق بموضوعنا، فمما وقفت عليه منها:

١- الصَّيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للدكتور عباس مصطفى الصالحي، وهو عرضٌ تاريخي للصيد والطرد عند العرب، وقد وضع جزءًا قصيرًا للصيد بالفهود في أربع صفحات من دراسته (ص ١٥٩-١٦٢)، وقف فيه في العرض عند أبي نواس (ت ١٩٨ هـ)؛ لأن التحديد الزمني لهذه الدراسة ينتهي عند نهاية القرن الثاني الهجري(١)؛ ونحن نمتدُّ بالدراسة إلى القرن السابع؛ فهو بذلك لم يتعرض لمعظم الطرديات الفهدية، وهي التي قد ظهرتْ بعدُ لدى طائفةٍ من الشعراء ممن سنعرض لهم في دراستنا.

(١) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للدكتور عباس مصطفى الصالحي ص١٥٩-١٦٢ (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١/ ١٤٠٢هـ).

٢- بحث بعنوان: تاريخ رحلة الصيد والطرد عند المجتمع العباسي وخلفائه حتى نهاية العصر العباسي الأول، للدكتورة مها أسعد عبد الحميد طه، من قسم التاريخ في كلية التربية بالجامعة العراقية[١]، وهي تنقل من دراسة الدكتور عباس الصالحي السابقة في نظامها، وترتيبها، وما أورده في هذا الجزء وفي أجزاء غيره، مع اختصارٍ مخلّ، والعجيب أني لم أجد ذكرًا للصالحي في مراجعها، ولا في الهوامش. وحديثها عن الصيد بالفهود منتزع منه، وهو لا يعدو بضعة أسطر لا غناء فيها. وإنما ذكرتها هنا استقراءً فحسب.

* * *

(١) مجلة كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية، العدد الثامن، الجزء الأول، السنة الخامسة ٢٠١٨م، ص٢١٥-٢٥٧.

معنى الطَّرد:

تأتي لفظة الطَّرْد في لغة العرب بمعنى: الشَّلُّ والإيقاف، ويقولون في تصريف فعلها ومصدرها: طَرَدَه يَطْرُدُه طَرْدًا وطَرَدًا وطَرَّده. فالطَّرد بسكون الراء وتحريكها، كلاهما جائز. ويقولون للأُنثى: طَريدٌ وطَريدة، وجمعهما مَعًا: طَرائِدُ. والطَّرْدُ أيضًا: الإبْعَادُ، وكذلك الطَّرَدُ بالتحريك، وليس هذا المعنى بمرادٍ هنا. والطريدة عندهم: ما طَرَدْتَ من صَيْدٍ وغيره. والطريدةُ: هي حيوانُ الصيد يطارده الصائد كي يُوقع به[1].

والطرد فنٌّ قديم يُنسج غالبًا على بحر الرجز[2]، وقد يأتي على غيره؛ يصف فيه الشاعر الحيوان الذي يصطادون به، ويصف مطاردة الفرائس ورحلة الصيد.

* * *

(١) ينظر: لسان العرب (طرد).

(٢) لا نميل إلى التفريق بين الرجز والشعر، ذلك التفريق المفضي إلى إخراج الرجز من حيّز الشعر أو القريض (ينظر الكلام في هذه المسألة في: العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني ص٢٩٤ وما بعدها (تحقيق الدكتور النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١/١٤٢٠هـ)؛ ونتفق مع النقاد الذين ناهضوا هذا الرأي، ورأوْا في الرجز قيمةً فنّيَّة مهمة، ولا سيما وأنه قد نظم فيه كبار الشعراء منذ الجاهلية (ينظر مثلًا: أصوات النص الشعري، للدكتور يوسف حسن نوفل ص٢٥٧، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١/١٩٩٥م).

مَصَادرُ الطَّرديَّات الفَهْديَّة:

من أهم مصادر الطرديَّات الفهدية التي وصلت إلينا كتابُ (المصايد والمطارد)[١]، لكُشاجم[٢] الشاعر العباسيِّ المتوفَّى سنة ٣٦٠ هـ، وفيه خمسُ طرديَّات مرويَّةٌ رواية تامَّة، وفي مطلع باب الفهد هذا أخبارٌ في صفات الفهد نقلَ كشاجم جملةً منها من كتاب (الحيوان) للجاحظ، ونقل عن بعض المحدثين في زمانه بعضَ تلك الأخبار.

وعن كتاب كشاجم هذا ينقل بازيَّارُ الفاطميُّ في كتابه (البَيْزَرة) طردياته الخمس، وما اكتنفها، أو سبقها من الأخبار أو التعليق، ينقلها بنصها من غير إشارةٍ ولا إحالة، وقد صنع مثل هذا في مواضع أخرى من كتابه، يقول محمد كرد علي محقق (البَيْزَرة) مُثْبِتًا هذه الحقيقة: "ولقد عارضنا بعض فصول كتابنا هذا على كتاب (المصايد والمطارد) لكُشاجم؛ فتحقق لدينا أنَّ بابي الكلاب والظباء منقولان باللفظ والمعنى من أصلٍ واحد، أو أن يكون مؤلفنا نقلهما من المصايد والمطارد برمتهما، على نحو ما انتحل قصيدة كشاجم في دير القُصَير قرب حلوان مصر، وقال: إنه يخرج للصيد في موضع يُعرف بدير القُصَير مُنيف على ذروة جبل المقطم، ومطلٌّ على النيل... ونقل الأبيات الموجودة في ديوان كشاجم وفي غيره من المصادر، وادعى أنه هو أبو عذرتها"[٣].

---

(١) المصايد والمطارد، لكُشاجم، أبي الفتح محمد بن محمود بن الحسين بن السندي بن شاهاك الرملي (تحقيق محمد أسعد طلس، دار اليقظة، بغداد ١٩٥٤م).

(٢) في القاموس المحيط (مادة:كشاجم): "كُشاجِمٌ، كعُلابِطٍ: اسمٌ".

(٣) ينظر مقدمته لكتاب البيزرة، لبازيار العزيز بالله الفاطمي، أبي عبد الله الحسن بن الحسين (ظنًّا) ص١٠ (نظر فيه وعلق عليه محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٢م).

وهذا وحده دليلٌ كافٍ على اطّلاعه على كتاب كشاجم ونقله هذه النصوص منه.

ثم قال محمد كرد علي: "والمدة بين تأليف هذا الكتاب وتأليف كشاجم لا تزيد على ثلاثين إلى أربعين سنة، وأسلوب كشاجم في شعره معروف، وإذا رأينا المؤلف يستشهد بشعر كشاجم فهو – ولا شك – اطَّلع على كتاب المصايد والمطارد لكشاجم"(١).

زد على ذلك أننا نُضيف إلى بابي (الكلاب والظباء) اللذين أشار إليهما كرد علي، بابَ الفَهد أيضًا، فقد أخذه أخذًا من كتاب كشاجم، فهو حينئذٍ ليس مصدرًا أصيلًا لهذه النصوص، وإنما نذكره من باب الدراسة التاريخية، ونستأنسُ به في قراءة النصوص، إذ هو نسخةٌ أخرى تُضاف إلى النسخة التي وصلت إلينا من كتاب المصايد والمطارد، وهذا مما يُفيد جدًّا في فَنّ تحقيق النصوص، وضبط ألفاظها وعبارتها، وأسماء أعلامها؛ وإن كان كتاب (البيزرة) نفسه قد لحقتْ نصوص الفهديَّات فيه غير قليلٍ من التحريف والتصحيف، كما سيظهر من بعض الأمثلة المثبتة في هوامش هذا البحث.

وهناك كتبٌ أخرى نقلتْ بعض النصوص التي قالها الشعراء في الفهد، بين مُكثرٍ ومُقلٍّ، ومعتنٍ وغير معتنٍ.

فمن الكتب الجيدة والمُكْثرة: كتاب (الأنوار ومحاسن الأشعار)، للشِّمشاطي(٢) (كان حيًّا ٣٩٤هـ)، وهو قريبُ عهدٍ بكتاب كشاجم، ولعله رآه ونقل منه، يرجح هذا بالمقابلة بين كتابه وكتاب (المصايد والمطارد)، كما في

(١) ينظر مقدمته لكتاب البيزرة ص١١.

(٢) ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار، للشِّمشاطي، أبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي (تحقيق صالح مهدي العزاوي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧٦م).

روايته لطردية عبد الصمد بن المعذّل[١]، وكما في روايته لأبيات ابن المعتزّ في الفهد مثلًا[٢].

على أنَّ الشِّمشاطيَّ قد زاد في كتابه طرديَّةً من إنشائه، وزاد أبياتًا في بعض القصائد مما لم يُذكر في غيره من المصادر، كما حدث في بعض الأبيات المروية لأبي نُواس[٣]، وفي قصيدة الناشئ الأكبر الذي زادتْ روايته فيها أربعة أبيات في آخرها[٤]. بل إنه انفرد فيما أدّانا إليه البحث برواية طردية ابن طباطبا العلوي، وإن كانت ناقصةً من أولها[٥].

ومن الكتب المختصَّة بالحيوان، وفيها قصائد من طَـرَد الفهد، وفيها اختلافٌ مهمٌّ في الرواية: كتاب (الحيوان) للجاحظ، ففيه طردية ابن أبي كريمة الطويلة[٦]، والطردية التي نسبها إلى الرقاشي[٧]، وهي لأبي نواس. وفي كتاب الجاحظ إضافةً إلى ذلك كلامٌ في طبيعة الفهد وخصائصه في الصيد وما أُثر عنه.

(١) ينظر: المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٩٠-١٩٢، والأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٤.
(٢) ينظر: المصايد والمطارد ص١٩٢-١٩٤، والأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٦.
(٣) ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧١، ٢٧٦.
(٤) ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٥.
(٥) ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٥.
(٦) ينظر: الحيوان، للجاحظ، أبي عثمان الحيوان، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ٣٧١/٢ (تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م).
(٧) ينظر: الحيوان، للجاحظ ٣٧٢/٢.

وقد تجد بعضَ الكتب لم تذكر إلا القليل من الشعر في الفهد، كـــ(الشعر والشعراء) لابن قتيبة في روايته أبياتًا من طرديَّة أبي النجم[١]. وكتـــاب (تـــاريخ دمشق) الذي روى هذه الشعرَ مختصرًا[٢].

وبعض الكتب لم تذكر إلا النُّتفة من هذا الشـــعر، ككتـــاب (أشـــعار أولاد الخلفاء) للصولي[٣] (ت ٣٣٥ هـــ) الذي لم ينقل إلا بيتين لابن المعتـــز فحســـب. ومنها كتاب (التذكرة الحمدونية)، ففيه بعض الأبيات[٤].

ونستطيع الحكم بأنَّ عامة هذه الكتب ينقل بعضها من بعض، نضرب مثلًا على ذلك ما مرَّ من أمر كتابي البيزرة والمصايد والمطارد، ومثلًا آخـــر بكتـــاب (نهاية الأرب) للنويري (ت ٦٧٧ هـــ)، الذي نقل قصيدة ابن أبي كريمة من كتاب (الحيوان) للجاحظ (ت ٢٥٥هـــ)، وحكم بأن القصيدة ليست خالصةً في الفهد، بل سبقتها أبياتٌ في الكلب[٥]، وذلك فحوى كلام الجاحظ الذي قال هذا بنصّه[٦]، ولكنَّ ولكنَّ النويري -على طريقته في الجمع والتلفيق- لم يُسْند إلى الجاحظ قولَه، ولا روايته لهذا النصّ.

---

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ص٦٠٦-٦٠٧.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحســـن بـــن هبـــة الله ٣٥٩/٤٨ (تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥م).

(٣) ينظر: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، للصولي، لأبي بكر محمد بن يحيـــى بـــن عبـــد الله الصولي ص٢١٥ (مطبعة الصاوي، القاهرة ١٩٣٦م).

(٤) ينظر: التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، محمد بن الحسن بـــن محمـــد البغـــدادي ٢٧٤/٥ (تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١٤١٧/١ هـــ).

(٥) نهاية الأرب، للنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي ٢٤٩/٩ (دار (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١٤٢٣/١ هـــ).

(٦) ينظر: الحيوان، للجاحظ ٣٦٧/٢.

وهناك من المصادر دواوين الشعراء، وينبغي القول: إنَّ هذه الدواوين ليست جميعًا دواوين بمفهوم الرواية، بل إن بعضها من (جمع) المعاصرين، وهو جمعٌ من بطون الكتب القديمة، فهي في الحقيقة لا تُعدُّ مصدرًا أصيلًا في نفسها، وإن كنا لا ننكر ما فيها من العمل والجُهد، من هذه الدواوين التي تتعلق بموضوعنا: ديوان أبي النجم العِجلي[١]، ولكنَّ بعض هذه الدواوين محقق على أصوله المخطوطة، كديوان أبي فراس الحَمْداني[٢]، وإن كان لا يُهمنا فيه سوى بيتين فحسب، وديوان أبي نواس من رواية حمزة الأصفهاني وأبي بكرٍ الصولي، وغيرهما، وقد حققه المستشرق إيفالد فاغنر[٣]، وهو ديوان مليءٌ بالفوائد لهذا البحث، ونشرتُه نشرةٌ مُتْقنة، وديوان عبد الله بن المعتزّ صنعة أبي بكر الصولي، بتصحيح ب. لوين[٤].

* * *

(١) ينظر: ديوان أبي النجم العجلي (جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٦م).

(٢) ينظر: ديوان أبي فراس، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الحمداني ٤٣٥/٢ (تحقيق سامي الدهان، المعهد الإفرنسي بدمشق للدراسات الشرقية، بيروت ١٩٤٤م).

(٣) ينظر: ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ (تحقيق إيفالد فاغنر، المنشورات الإسلامية، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٢م).

(٤) ينظر: ديوان عبد الله بن المعتز (تصحيح ب. لوين، النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان، مطبعة المعارف، إسطنبول ١٩٤٥م).

ثانياً: تاريخُ الطَّرديَّات الفهديَّة:

الفهد مذكورٌ عند العرب، ومن طباعه الحياءُ والغضب والنوم الكثير، بل إنهم يضربون به المثل في شدّة النوم(١)، وقد جاء في حديث أم زرعٍ قول المرأة الجاهلية تصفُ زوجها: "إن دخل فَهِد"(٢)، أي نام نومًا ثقيلًا.

ووصف الفهد في الجاهلية لم يكن كثيرًا، وفي العموم فإنَّ "وصف الصيد والطرد في العصر الجاهلي لم يكن هدفًا في حد ذاته؛ وإنما كان الشاعر يلجأ إليه استطرادًا"(٣). ومثل هذا يُقال في صدر الإسلام، فإن الفهد لم يأتِ له ذكر كثيرٌ فيه، إنما ابتدأ ذلك الوصف بل غدا في قصائد مستقلَّةً في العصر الأمويّ، ثم انتشر وصار فنًّا بعينه في العصر العباسيّ.

* * *

(١) ينظر: المصايد والمطارد ص١٨٤-١٨٥.

(٢) صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجُعفي ١٩٨٨/٥ (تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣/ ١٤٠٧ هـ).

(٣) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للدكتور عباس مصطفى الصالحي ص٢٠٠. ولا نميل إلى أن ذلك الوصف كان استطرادًا، بل له معنًى قائمٌ في نسيج القصيدة، وهو من اللبنات الثابتة في بنائها الفني، كما في معلقة امرئ القيس، وعينية أبي ذؤيب الهُذلي.

١- في الدولة الأمويَّة:

يمكننا القول: إن فنَّ الطَّرد -بمصطلحه هذا- قد ولد في العصر الأموي، فقد كانت للشمردل بن شَريك اليربوعي أراجيز في الصقر والكلب، نقل أبو الفرج أبياتًا منها[١]، والشمردل متوفًى بعد سنة ١٠٩ من الهجرة[٢]. ولأبي النجم (ت ١٣٠هـ) طردية فهديَّة، ويُظنُّ أن له طرديات أخرى كذلك، وهناك أبو نُخيلة الحماني المقتول قبل سنة ١٥٠ هـ؛ فإنَّ له طرديات كثيرة[٣].

ولكنَّ الذي يعنينا ها هنا هو الطرديات الفهدية على الخصوص، وقد وقفتُ على اثنتين أمويتين: واحدةٍ لأبي النجم العِجْلي، وأخرى صحَّحتُ نسبتها لغيلان بن حُريثٍ الربعيّ؛ ورجَّحتُ أنها أمويَّة.

أبو النَّجْم العِجْلي (٦٠-١٣٠ هـ):

لعلَّ أول ظهور لوصف الصيد بالفهد كان في العصر الأموي، وكان على لسان راجزٍ وشاعرٍ مشهورٍ، هو أبو النَّجم الفضل بن قدامة العِجْليّ (ت ١٣٠هـ)[٤]، ولعلَّ ذلك يكون في أوائل القرن الثاني الهجري، أو آخر القرن الأول؛ فقد وُلد أبو النجم سنة ٦٠ هـ، ومات بعدها بسبعين سنة، فعمره الفني منقسم بين آخر القرن الأول وأول الثاني، وإن كان نصيبه في الثاني أكبر.

---

(١) ينظر: الأغاني ٣٦١/١٣.

(٢) ينظر: الأدب العباسي، ضمن موسوعة كامبردج في تاريخ الأدب العربي، تأليف نخبة، تحرير جوليا أشتياني وزملائها، ترجمة محمد بريري وأحمد عبد اللاه الشيمي ص٢٨٧ وما بعدها (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢٠١٧/١م).

(٣) ينظر: الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للدكتور عباس مصطفى الصالحي ص٢٠٢.

(٤) ينظر مجموع ترجمته في مقدمة ديوانه بتحقيق الدكتور محمد أديب عبد الواحد ص٨.

وإن شئنا تحديدًا أكبر لتاريخ تلك الأرجوزة التي وصف فيها أبو النَّجم الفهدَ، فهي في حياة عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم الذي طلب إليه إنشادها، ولعل ذلك في زمن ولايته للبصرة سنة ١٠٢هـ؛ فقد جاء في الخبر أنَّ عبد الملك بن بشر قال لأبي النَّجم: صف لي فُهودي هذه، فارتجز بَديهًا:

جاء مطيعٌ بمُطاوعاتِ
عُلِّمن أو قد كُنَّ عالماتِ
فَهْيَ ضَوارٍ من مُضَرِّيَّاتِ
تُريكَ آماقًا مُخطَّطاتِ
سُودًا على الأشْداق سَائلاتِ[١]

ومطلعها في ديوانه:

إنَّا نَزلنا خَيْرَ مُنْزَلاتِ
بين الجُمَيْرات المُباركاتِ
في لحم وحشٍ وحُبارِيَّاتِ[٢]

وقد نُسبت هذه الأرجوزة غلطًا إلى أبي نواس، فيما حُمل عليه من شعر الطَّرد، نصَّت على هذا النَّحل روايةُ ديوان أبي نواس نفسها، وعزتْ الأرجوزة إلى أبي النجم[٣].

وهذه الأرجوزة حقًّا تمثِّل الأراجيز المطبوعة التي تجري على سَجيِّتها من غير تعقيد أو حشدٍ لغريب اللفظ، أو إرادةٍ للتفاصح وتبيان المعرفة اللغوية

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري ص٦٠٦-٦٠٧ (تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة المعارف، ط١٩٦٧/٢)، والرجز في تاريخ دمشق مختصرًا (ينظر: تاريخ دمشق ٣٥٩/٤٨).

(٢) ديوان أبي النجم العجلي ص١٠٥.

(٣) ينظر: ديوان أبي نواس ٣٢٤/٢.

المعجميَّة، كما نعرف من شأن طرديَّات أبي نواسٍ مثلًا؛ ولذا يقول الدكتور شوقي ضيف معلِّقًا على طرديَّة أبي النجم هذه: "وكثير من رجزه على هذا النحو، لا يُبعد فيه ولا يغرب، وإن كان من الحق أنه كان يتوسع فى الكلام، ويحمل بعضه على بعض، ويشتقُّ بعضه من بعض، ولكنه يظل قريبًا منا فى جمهور رجزه"(١). وهذا في نفسه دليلٌ على نفي الأرجوزة عن أبي نواس.

غَيْلان بن حُريث (ت ؟):

غيلانُ بن حُريث الرَّبعي راجزٌ(٢)، شاعر(٣)؛ من رجال القرن الثاني، كان في أول أمره راجزًا ثم صار إلى التقصيد؛ لغلبة العجاج وولده رؤبة على هذا اللون من القول، كما ينقل ابن رشيق في (العمدة)(٤).

لم أقف له على تاريخ ولادةٍ أو وفاة، وغاية ما أعرفه من ذلك أنه قال شعرًا يمدح فيه ابن هُبيرة بعد وقعة عين التمر سنة ١٢٧هـ(٥)، وأنه ممن استشهد بشعرهم سيبويه (١٤٨-١٨٠هـ)، فغيلان رجلٌ أمويٌّ سايرَ بشعره أحداث عصره، ولا يمنع أن يكون عمرُه قد امتد إلى دولة بني العباس، وقال فيها شعرًا. ولكنَّ أخبارَه والروايةَ عنه نادرة فيما وقفنا عليه من المصادر.

---

(١) تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف ص٣٩٨ (دار المعارف بمصر، ط٧).

(٢) ينظر: ديوان أبي نواس ٣٢٥/٢.

(٣) ينظر: العمدة، لابن رشيق ص٢٩٧ (تحقيق الدكتور النبوي شعلان).

(٤) ينظر: العمدة ص٢٩٧.

(٥) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري، محمد بن جرير بن يزيد ٣٢٨/٧ (دار التراث، بيروت، ط١٣٨٧/٢ هـ).

لغيلان بن حُريث طرديَّةٌ فهديَّةٌ ليست بالقصيرة، تزيد في بعض الروايات عن ٤٥ بيتًا مشطورًا[١] على ما ارتضيناه من كتابة الرجز، وهي الرواية المذكورة في ديوان أبي نواس، وأخشى أن يكون قد أُدخل فيها ما ليس منها حين نُحلتْ أبا نواس.

مطلعُ هذه الأرجوزة مطلعٌ يسير على خُطى امرئ القيس في وصف رحلة صيده بحصانه، ولعل غيلان أول من صنع هذا في الطرديات الفهديَّة:

قد أَغتدِي والشَّمْسُ في حِجَابها
مَستورةٌ لم تَبْدُ من جِلْبابِهَا

وهو يمضي في وصف الرحلة، ناعتًا أصحابها بالشرف والأدب:

في فِتْيَةٍ لا مَذْقَ في أَحْسَابِهَا
مَعروفَةٍ بالفَضْلِ في آدَابِهَا
بفَهْدةٍ بُورِكَ في جَلاَّبِهَا[٢]
سُقْيًا لَها وللِّذى غَدَا بِهَا[٣]

ثم يأخذ في وصف تلك الفهدة وعملية المطاردة إلى آخر القصيدة.

* * *

(١) هي رواية ديوان أبي نواس ٢/٢٨٥.

(٢) البيت ساقط من ديوان أبي نواس، وهو زيادة في الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧١، وهي زيادة يقتضيها السياق.

(٣) البيت ساقط من ديوان أبي نواس، وهو زيادة في الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٦، وهي زيادة يقتضيها السياق.

٢- في العَصْر العباسيِّ الأول (١٣٢-٢٣٤هـ):

إن كان فنُّ الطرديات قد ولد في العصر الأموي، فإنه قد نضج، بل استفحل في العصر العباسي. هذا في الفنّ الطردي بإجمال، وأما في الطرديات الفهدية فقد بدا لنا أنَّ مطالع ظهور وصف الفهود كان في آخر الدولة الأمويَّة، ثم أخذ يتسع، وتتعددُ شعراؤه في الدولة العباسية بمعناها الواسع إلى سنة ٦٥٦هـ.

لقد كان الصيد قديمًا في الجاهليَّة وصدر الإسلام لحاجة الصائد إلى القوت، أو لمتعةٍ نفسيَّة ترفيهية عند أشراف القوم؛ ولكنَّ هواية الصيد في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني غدتْ مظهرًا من مظاهر الترف فحسب، وسببًا من أسباب المتعة التي ينزع إليها الأمراء وسادةُ القوم، "ولم تكن تُتابع في هوايتها ما كان موجودًا في العصر الجاهلي من أنواع الصيد وطُرُقه، ولكنها كانت متأثرةً بالحضارة الجديدة التي شاعت في هذه الفترة، والتي اقتبست فيما اقتبسته من مظاهر الترف المادّي عند الأمم الأجنبية هواية الصيد ووسائلها وأدواتها"[١].

يتبين لنا ذلك إذا نظرنا في الكتب المؤلفة أو المترجمة التي أوردها النديم في (فِهْرسته) في فن الصيد: ككتاب الجوارح لمحمد بن عبد الله بن عمر البازيار، وكتاب البُزاة للفرس، وكتاب البزاة للترك، وكتاب البزاة للروم، وكتاب الجوارح واللعب بها لأبي دُلَف القاسم بن عيسى[٢]. "والذي يتضح لنا من هذه الكتب تأثرها بفنِّ الصيد عند الفرس والروم والتُّرك على السواء... ولا شك أن تدفُّق المال على الدولة العباسية وانتشار الغنى في بيئاتٍ كثيرة، ساعد على سرعة انتشار

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، للدكتور محمد مصطفى هدارة ص٤٦٧ (دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م).

(٢) الفهرست، للنديم، محمد بن إسحاق ص٣٧٧ (تحقيق رضا تجدد المازندراني، دار المسيرة، ط٣/١٩٨٨م).

هواية الصيد بين الطبقات القادرة... وبينما نجد قلةً من الخلفاء الأمويين تذكر لنا المصادر المختلفة هوايتهم للصيد مثل: يزيد بن معاوية، والوليد بن يزيد؛ نجد جميع الخلفاء العباسيين بلا استثناء يُقبلون على هذه الهواية؛ لأنها... قد أصبحت في عصرهم جزءًا من مظاهر الحضارة لا تُستكمل إلا به"[١].

وقد ساير الشعراء هذه الظاهرة بأشعارهم وأراجيزهم، فقالوا في وصف الصيد والطَّرد أشعارًا كثيرًا، مثَّلتْ اتجاهًا بارزًا من اتجاهات الشعر في العصر العباسي، وكان للطرديَّات الفهديَّة نصيبٌ منه، نحاول رصده في العصر العباسي الأول من خلال أهم شعرائه وراجزيه، رصدًا متسلسلًا زمنيًّا.

وقد وجدنا من أصحاب الطرديات الفهدية في العصر العباسي الأول أربعةً من الشعراء، هم: أبو نواس، والرقاشي، وابنُ طاهر، وابنُ أبي كريمة الكاتب.

أبو نُواس (ت ١٩٨ هـ):

هو الحسن بن هانئ[٢] بن عبد الأول بن صباح الحَكَميُّ بالولاء (١٤٦-١٩٨هـ)، شاعر العراق في عصره. وهو أشهرُ من أن يُعرَّف به.

بلغ أبو نواس من المنزلة العالية أن قُرن بامرئ القيس بن حُجْر، فعن أبي عُبيدة أنه قال: "أبو نُواس للمحدثين كامرئ القيس للأوّلين؛ لأنه الذي فتح لهم هذه الفِطَن، ودلَّهم على هذه المعاني"[٣]. ورآه ابن الأعرابيّ خاتمة المجيدين من الشعراء، إذ لم يروِ لأحدٍ بعده[٤]. وحُكِّم أبو مُحلّم مرةً في شعره فوصفه

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص٤٦٧-٤٦٨.

(٢) ينظر ترجمته في: الأعلام، للزركلي ٢٢٥/٢ (بيروت، ط٥/١٩٨٠م). وله ترجمة واسعة في: تاريخ دمشق، لابن عساكر ٤٠٧/١٣.

(٣) الديوان ١٢/١.

(٤) ينظر: الديوان ١٣/١.

بقوله: "أبو نُواس أكثر افتنانًا في أفانين الشعر، وأذهبُ في مذاهب العرب إذا شاء، وأعلمُ بالإعراب ولغة العرب من كل شاعر مُحْدَث"(١).

يمتازُ أبو نواس بكثرة الشِّعر، ومع ذلك لم يكن يحتفل له، ولا لجمعه، وقد انتشر شعرُه وتفرَّق فلم يُحط الرواةُ به، ومما يدل على ذلك أنه كانت له قصائد قالها بمصر لا يعرفها أهلُ العراق، وله مدائح في جعفر بن يحيى البرمكي وغيره مفقودة، وله البيت والبيتان يُعرفان، ولا تعرف بقية القصيدة...(٢)؛ حتى قيَّض الله لشعره من جمعه وصَنَعه في ديوان، كحمزة الأصفهاني والصُّولي وغيرهما؛ ومع ذلك فالبيِّنُ أنَّ الرواة قد فاتهم من شعره شيءٌ كثير.

وقد ألحق الناسُ بشعره أشعارًا كثيرة، فنحلوه ما وافق مذهبه في اللهو والمجون والعبث، ووصف الخمر والطَّرَد، وفيما فحُش فيه من وصف النساء والغلمان(٣).

وقد نُسبتْ إلى أبي نواس في الطَّرد -وهو موضوعنا- أراجيز كثيرة بلغت ستًّا ومئة أرجوزة ما بين صحيح ومنحول(٤)، وبعضُهم يصحِّحُ له نيِّفًا وسبعين أرجوزة فحسب، زعموا أنها بإملائه وتوقيعه(٥). ولكن جاء في رواية(٦) (الديوان): "قال أبو هِفَّان: أخبرني رواة أبي نواس: محمد بن حرب بن خلف،

(١) ينظر: الديوان ١٣/١.

(٢) ينظر: الديوان ٤/١-٨.

(٣) ينظر: الديوان ٨/١.

(٤) ينظر: الديوان ٢٠٠/٢، وينظر الكلام على الطرديات الموثقة والمشكوك فيها في: ديوان أبي نواس ١٧٦/٢ وما بعدها.

(٥) ينظر: الديوان ١٧٧/٢.

(٦) الديوان من رواية حمزة الأصبهاني وأبي بكر الصولي، وغيرهما (ينظر: مقدمة المحقق إيفالد فاغنر للطبعة الثانية للمجلد الأول المنشورة سنة ٢٠٠١م، ص: ز).

وسليمان بن سَحْطَة، واليُؤْيُؤُ، والجمَّاز البصري، وابنُ الدَّاية البغدادي نخَّاسُ الرقيق، وعليُّ بن أبي خَلْصة؛ أنَّ أبا نُواس لم يقل في الطَّرَد إلا تسعًا وعشرين أرجوزة وأربع قصائد، فما زاد على ذلك فهو منحول"(١).

فممن دخل طردُه في شعر أبي نواس طائفةٌ من الشعراء، منهم: غيلان بن حريث، والشمردل، وحميد الأرقط، وعبدة بن زياد الأصفهاني، "ولعبدة هذا في الطرد أكثر من مائة ورقة، قد أُلحق منها بشعر أبي نواسٍ الكثير"(٢).

من أجل ذلك بنتْ روايةُ الديوان الفصلَ الأول من باب الطَّرديات على هذه الأشعار التي لا تشوبها شائبة، وجعل الفصول الباقية لما سواها مما داخله الشكُّ أو النَّحْل.

ونحن نجد عدَّة هذه الأراجيز الصِّحاح في نعت الكلب مثلًا تسع أرجوزات(٣)، وقصيدتين أُخريين(٤) من سوى الأراجيز؛ ولا نجد له في نعت الفَهْد إلا أرجوزةً واحدةً مُصحَّحة! وهي التي يستهلُّها بقوله:

قد أغتدي واللَّيلُ أَحْوَى السُّدِّ
والصُّبْحُ في الظَّلْمَاءِ ذُو تَعَدِّي(٥)

وهذا ما يجعلنا نحكم بقلَّة عناية أبي نواس بالفهد مقارنةً بغيره من الجوارح أو ذوات الناب، ولعلَّ السبب في ذلك عائدٌ إلى أنَّ أبا نواس كان همُّه أن

(١) الديوان ١٧٧/٢.
(٢) ديوان أبي نواس ٣٢٥/٢.
(٣) الديوان ١٧٩/٢.
(٤) الديوان ٢٤٥/٢، ٢٤٦.
(٥) ديوان أبي نواس ٢٠٠/٢-٢٠٢ (تحقيق إيفالد فاغنر، المنشورات الإسلامية، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٢م)، ونسبها الجاحظ في (الحيوان ٤٧٢/٦) إلى الرُّقاشي (ت ٢٠٠هـ) وتبعه كشاجم فنسبها إليه في (المصايد والمطارد) ص١٩٤.

يُشْبه العرب الأقدمين في وصف الصيد بالكلب، وأن يأتي بألفاظٍ من معجم الكلب يضاهي بها من قال فيه من العرب قبله أو يسبقه[١]. وهذا ما يجعلنا نرى لطرديَّات الفهد خصوصيَّةً عند جمعٍ ممن وصفه، من أنه وصفٌ حقيقي صادق، ليس فيه كثيرٌ من الإغراب والجهامة.

هذا، وأما الطرديَّات الفهديَّة الأخرى المشكوك فيها المنسوبة لأبي نُواس، فهي ستُّ طرديَّات، عزا اثنتين منها رواةُ ديوانه إلى: الرُّقاشي، وغَيْلان بن حُريث، والحديث عنهما في موضعهما من هذا البحث؛ وأما الأربع الباقيات فمطلع إحداهنّ:

قد أغْتَدي والصُّبحُ مثل الـمَحْضِ
أبيض أشباهَ مُلاء الرَّحْضِ

وهي من ٦ أبيات مشطورة[٢].

(١) أثنى الجاحظ على علم أبي نواس بالكلب، وفضّله على علم الأعراب به، فقال: "وأنا كتبتُ لك رجزه في هذا الباب؛ لأنَّه كان عالـمًا راويةً، وكان قد لعب بالكلاب زمانًا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفاتُ الكلاب مستقصاة في أراجيزه؛ هذا مع جودة الطبع، وجودة السبك والحذق بالصنعة. وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ؛ إلاَّ أن تعترض عليك فيه العصبيّة أو ترى أنّ أهل البدو أبدًا أشعرُ، وأنَّ المولَّدين لا يقاربونهم في شيء. فإنْ اعترض هذا البابُ عليك، فإنك لا تبصر الحقَّ من الباطل مادمتَ مغلوبًا" (الحيوان، للجاحظ ٢/٢٧).

(٢) ديوان أبي نواس ٢/٢٨٧.

ومطلع الثانية:

قد أغْتَدي واللَّيْلُ في اسْوَدَادِهِ
مُعْتكرًا من طُولِ ســرْمدادِهِ

وعدَّتُها ٢٧ بيتًا مشطورًا[١].

ومطلع الثالثة:

قد أغْتَدِي واللَّيلُ في سَوادِهِ
بِسَبْسَبٍ مُفْضٍ إلى وِهَادِهِ

وعدتها ٤٠ بيتًا[٢].

ومطلع الرابعة:

لــمَّا طَوَى الليلُ حَوَاشي بُردِهِ
عن واضِحِ اللَّوْنِ نَقِــيٍّ وردِهِ

وعدتها ٢٢ بيتًا[٣].

وهذه المنسوبات من الأراجيز، وإن لم تصح لأبي نواس؛ فهي عباســيَّة خالصة، بل إننا نستطيع تقدير وقتها بالعصر العباســي الأول؛ ذلــك أنَّ جــامعيْ الديوان: الصولي (ت ٣٣٥ هــ)، وحمزة الأصبهاني (٢٨٠-٣٦٠ هــ)؛ رجلان عباسيَّان من رجالات ذلك العصر. فهذه الطرديَّات داخلةٌ فيه، ولكنّا لا ندري مَــن أربابُــها. وليس معنى نفيها عن أبي نُواس نفيَها عن العصر كله لا شك.

(١) ديوان أبي نواس ٢/٢٨٧-٢٨٨.
(٢) ديوان أبي نواس ٢/٢٨٨-٢٨٩.
(٣) ديوان أبي نواس ٢/٢٨٨-٢٨٩.

الرُّقاشي (ت ٢٠٠ هـ):

هو أبو العباس الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشيّ (ت ٢٠٠هـ)[١]، نُسبت أرجوزته في الفهد غلطًا إلى أبي نواسٍ، كما نصَّت على ذلك روايةُ ديوان أبي نواسٍ نفسه، وقالت: هي للرقاشيّ، وقد نسبها الجاحظ في (الحيوان) إلى أبي نواس كذلك[٢]، والجاحظ ليس من أصحاب صنعة الرواية، فقد ينسب شيئًا من الشعر إلى غير صاحبه، بما يجده في الكتب، ولعل ديوان الرقاشي لم يكن وقع له.

ونسبت هذه الأرجوزة أيضًا إلى أبي نواسٍ في كتاب (المصايد والمطارد) لكشاجم[٣]، وهو ينقل فيه نقلًا عن الجاحظ وغيره؛ يتبيَّن ذلك بمعارضة حديثهما عن الفهد.

ومطلع هذه الطرديَّة الرقاشيَّة يحكي لنا رحلة الصيد عند بعض الأمراء أو أصحاب الشرف، وهم آل جعفر، في قوله:

لما غدا للصَّيْد آلُ جعفرِ
رهطُ رسول الله آل المفخرِ
بفهدةٍ ذاتِ قَرًا مضبَّرِ
وكاهلٍ ناتٍ وعُنْقٍ أزبرِ
ومُقْلَةٍ سالَ سوادُ المحجرِ
منها إلى شدق رُحاب المَفْغَرِ

(١) ينظر: ديوان أبي نواس ٣٢٤/٢.

(٢) ينظر: الحيوان، للجاحظ ٣٧٢/٢.

(٣) ينظر: المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٩٤، وقد رويت فيه بزيادات في آخرها تبلغ نصف الأرجوزة.

والذي يغلب على الظن أنهم آل جعفر بن يحيى البرمكي، ولعلَّ جعفرًا قد غدا للصيد معهم كذلك، وقوله: "رهط رسول الله" نسبةً إلى أوليائهم من بني العباس، والرجلُ من الموالي ينتسب إلى مولاه، ويُنسَبُ إليهم عند العرب. والذي يدعونا إلى هذا الترجيح أن الرقاشي كان مخالطًا لجعفر بن يحيى، وكان جعفر يفرضُ له من العطاء، حتى إنه رثى جعفرًا لما قُتل بأبياتٍ يقول فيها:

أما واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ

لَطُفْنا حول جِذعك واستَلَمْنا ... كما للناس بالحَجَر استلامُ

فما أبصرتُ قبلكَ يا ابنَ يَحْيَى ... حُسَامًا فَلَّهُ السَّيْفُ الْحُسَامُ

عَلَى اللَّذات والدنيا جميعًا ... لِدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكٍ السَّلامُ

فقيل للرشيد، فأمر به فأُحضر، فَقَالَ له: ما حملك عَلَى ما فعلت؟ قَالَ: تحركتْ نعمتُه فِي قلبي فلم أصبر. قَالَ: كم كان عطاؤك؟ قَالَ: كان يعطيني فِي كل سنة ألف دينار، فأمر له بألفي دينار(١).

ابنُ أبي كَريمة (ت ؟):

هو أحمد بن زياد بن أبي كَريمة، كاتبٌ، معاصرٌ للجاحظ، ليس له كبير ذكر فيما وقفت عليه من الكتب، ولم أقف على تاريخ وفاته أو مولده في أيٍّ من المصادر. وقد بذل الدكتور طه الحاجري جهده في جمع ترجمته، ونقل من (البيان

(١) ينظر: تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ٣٠/٨ (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ).

والتبيين)[١] أن اسمه: "أسود"، وأن "أحمد" صُحِّفت منها[٢]، والراجح أنه "أحمد" لما نقله الأستاذ عبد السلام هارون من مجمل نصوص الجاحظ المتصلة به[٣].

ثم إنه موصوفٌ بأنه كان من الفحول[٤]، فلعل المقصود بذلك في الكتابة لا في الشعر، فهو حينئذٍ من طائفة الكُتَّاب الذين قالوا الشعر فجمعوا بين الصناعتين، وقد رأينا في العصر العباسي غيرَ واحدٍ من هؤلاء النابهين.

كان ابن أبي كريمة مع قوله للشعر يرويه، وفي شعره نزعةٌ بدوية، ولعل ذلك لاختلاطه ببعض الأعراب، ومن هنا نفهم جنوحَه إلى وصف الكلب والفهد[٥].

وقد جاء شعرُه في وصف الفهد لا على بحر الرجز، بل على بحر الطويل. وأوفى ما وجدته لرواية قصيدته ما جاء في كتاب كشاجم (المصايد والمطارد)[٦]، وإن جاءت بعض الأبيات الزائدة في رواية الجاحظ في (الحيوان)[٧].

---

(١) ينظر: البيان والتبيين، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر ١٤٢/١ (تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ).

(٢) ينظر ملحق التعليقات في كتاب: البخلاء، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر ص٢٨٢ (تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، ط٩).

(٣) جمع العلامة عبد السلام هارون بعضًا مما وقف عليه في كتب الجاحظ، فقال: "ابن أبي كريمة: هو أحمد بن زياد بن أبي كريمة، كما صرح باسمه في الحيوان ٣٦٧/٢. وأورد له أخبارًا أخرى في الحيوان... وهذا كان صديقًا للجاحظ، وأورد له في البخلاء أخبارا تدل على صلته به" (ينظر: الحاشية رقم ١ في ص١٨٩ من كتاب: البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١٤١٠/١ هـ).

(٤) ينظر: المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٨٨.

(٥) ينظر: البخلاء (بتحقيق الحاجري) ص٢٨٢-٢٨٣.

(٦) ينظر: المصايد والمطارد، لكشاجم ص-١٨٨-١٩٠.

(٧) ينظر: الحيوان ٣٧١/٢.

والقصيدة ليست في الفهد وحده، بل سبقتها أبيات في وصف الكلب[١]، وأول ذكر الفهد فيها قوله:

بذلك أبغي الصَّيد طَوْرًا وتارةً ... بمُخطفَةِ الأكْفَال رُحْبِ الترائبِ[٢]

مرقّقةِ الأذنابِ[٣] نمرٍ ظُهُورها ... مخطَّطةِ الآذانِ غُلْبِ الغواربِ

مُدرَّبةٍ زرقٍ كأنَّ عيونَها ... حواجلُ تَسْتَذري مُتُونَ المراكبِ[٤]

عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل (ت ٢٣١ - ٢٤٠ هـ):

هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان، كان شاعرًا فصيحًا، بصري المولد والمنشأ، وكان هجَّاءً خبيث اللسان، شديدَ العارضة، لا يسلم منه مَنْ مدحه من الهجو فضلًا عن غيره، توفي في حدود الأربعين ومائتين[٥].

قال كشاجم: وقد سرق عبدُ الصمد بن المعذّل (ت ٢٤٠ هـ) طردية ابن أبي كريمة، فقال يصف الفهد:

قد أغْتَدي والشَّمسُ في أوراقِها

لم تأذنِ السَّدفة في إشْراقها

وصُحْبتي الأمجادَ في أعْراقها

على عِتاق الخيل من عناقها

(١) ينظر: الحيوان، للجاحظ ٣٦٧/٢.

(٢) في الحيوان: "بمخطفة الأحشاء".

(٣) في الحيوان: "موقّفة الأذناب".

(٤) في المصايد والمطارد: الحوجلة: القارورة، وتستذري: يصف مكانها خلف الراكب، وأن ظهره يذريها أي يسترها والذرى: الستر.

(٥) ينظر: فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد ٣٣٠/٢ (تحقيق إحسان إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٩٧٤م).

إلى آخر الطردية[1].

والذي نراه أن عبد الصمد لم يسرق من ابن أبي كريمة، لأسباب فنّيـــة، أهمُّها: اختلاف الوزن والبناء، فتلك من الطويل، وهذه من الرجز، وشتَّان، ثم إن معاني عبد الصمد متداولة، وليس لابن أبي كريمة فيها كبيرُ فضل. زد على ذلـــك أن طردية عبد الصمد بن الـــمُعَذَّل من أطول الطرديات الفهدية، فهي تبلغ خمسين بيتًا.

ابنُ طَاهر (ت ٢٥٣ هـ):

نسب في (التذكرة الحمدونية)[2] الأبياتَ الفهدية الآتية إلى: "ابن طـــاهر"، والذي يغلب على الظن أنه محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصـــعب، أبو العباس الخزاعي، كان شيخًا فاضلًا، وأديبًا شاعرًا، وهو أمير ابن أمير ابـــن أمير، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، وكان مَأْلفًا لأهل العلم والأدب، المتـــوفى سنة ٢٥٣ هـــ[3]. وفيها يقول:

وليـــسَ للطِّـــرَاد إلَّا فَهْدُ
كأَنَّـــمَا أَلْقَتْ عليـــه الكُرْدُ
من خُلْقِهَا أَو وَلَدتْهُ الأُسْدُ
وهو كَفيل النُّجْح حين يعدُو

وهذه الأبيات الأربعة ليست طردية بالمعنى الفني الكامل، وإنما هي مـــن قبيل المشاركة في القول في الفهد.

* * *

(١) المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٩٠-١٩٢، والأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٤.
(٢) التذكرة الحمدونية ٢٧٤/٥.
(٣) ينظر: تاريخ مدينة السلام ٤٢١/٣.

٣- في العَصْر العباسيّ الثاني (٢٣٢-٣٣٤):

استمرَّ نتاج الطرديات الفهدية في العصر العباسيّ الثاني، وكان لابن المعتزّ قصب السبق في ذلك؛ إذ له غير طردية. ونجد في ذلك العصر شاعرين آخرين قالا فيها، هما: الناشئ الأكبر، وابن طباطبا العلوي.

الناشِئُ الأكبر (ت ٢٩٣ هـ):

هو أبو العبّاس، عبد الله بن محمد الأنباري، المعروف بابن شرشير، لُقِّب بالناشئ الأكبر، وهو شاعرٌ متكلم، ومع ذلك فشعره مطبوع لا تكلف فيه. قال محمد بن داود بن الجراح: عبد الله بن محمد الناشئ من أهل الأنبار، نزل بغداد، وله كتب ينقض فيها كتاب المنطق، وأشعار في ذلك، وكان شاعرًا، وله قصيدة على روي واحد، وقافية واحدة، تكون أربعة آلاف بيت، ذكرها الناجم، وذكر أنه أنشده إياها، وكان يقول في خلاف كل معنى قالت فيه الشعراء[١]. أي أنه شاعر متفنِّنٌ، مشتركٌ في علوم العقل، وهو في شعره إذا شاء ذو نَفَسٍ طويل.

وقصيدته في الفهد على بحر الطويل، رويت في (المصايد والمطارد) لكشاجم[٢]، و(الأنوار ومحاسن الأشعار) للشمشاطي، وفي (الأنوار) زيادة أربعة أبيات في أخرها[٣]. فتمام عدتها اثنان وعشرون بيتًا، ولعلها مع ذلك ناقصة، ومطلعها:

وأَنْمرَ مَوْشيِّ القَمِيصِ مُوَلَّعٍ ... كأَنّ عليه منه رَقْمًا مُوَشَّمَا

يلوحُ على خَدَّيه خَطَّان عُرِّجا ... قليلًا ورُدَّا هابطَيْن فَقُوِّمَا

(١) ينظر: تاريخ مدينة السلام ٢٩٧/١١.

(٢) ينظر: المصايد والمطارد ص١٩٦.

(٣) ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٥.

مُفْتَــلِ عَضْــدَيْ سَــاعِدَيْه كأَنّمــا أُغِيــرَا بقِــدٍّ ثُــم شُــدَّا فأُبْرِمَــا

ابن المُعْتزّ (٢٤٧-٢٩٦ هـ):

هو عبد اللَّه بن المعتز باللَّه، واسم المعتز مُحَمَّد بن جعفر المتوكل بن المعتصم الخليفة العباسي (٢٤٧هـ-٢٩٦هـ). من أهل العلم والأدب، ومن الشعراء أصحاب الديباجة، له كتبٌ منها: طبقات الشعراء، والبديع[١]. وديوانه مطبوعٌ برواية الصولي، ويقع بابُ الطرد في الجزء الرابع منه، وفيه شعره الفهديّ[٢].

ومما يدل على عناية ابن المعتز بوصف الصيد والطرد أنه وضع كتابًا مستقلًّا بعنوان: (الجوارح والصيد)[٣]، وهو مفقود لم يُعثر عليه، أو لم يصل إلينا.

لابن المعتز غير فهديَّة، وقفنا على خمس منها، ولعل له غيرها، منها طرديات خالصة، ومنه ما يأتي في مقدمة القصيدة؛ فمن طردياته المستقلَّة سينيَّتُه التي يقول فيها:

قد أَغتــدِى قبْــلَ غُدُوٍّ بغَلَسْ
وللرِّياضِ في دُجَى اللَّيْلِ نَفَسْ

(١) تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي ٣٠٢/١١، والأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٧.
(٢) ينظر: ديوان ابن المعتز ١٢/٤.
(٣) ينظر: الفهرست، للنديم محمد بن إسحاق البغدادي ص١٤٥ (تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢/١٤١٧هـ).

حتى يقول:

بلاحِقِ الوَثْبَــةِ مُمْتَــــدِّ النَّفَسْ
نِعْمَ الرَّديفُ رَاتبًا فوقَ الفَرَسْ[1]

وله في الفهدة قصيدةٌ أخرى، رووا منها قوله:

أَنعتُهَا تَفْرى الفَضَــاءَ عَــدْوَا
نَوَازِياً خَلْفَ الطَّريــدِ نَــزْوَا
لا تُحْسِنُ القُدْرَةُ منه عَفْــــوَا
قد وَجَدَتْ طَعْمَ الدِّمَاءِ حُلْوَا[2]

ومن فهديَّاته طردية فيها ألفاظ غريبة، وقد اختار لها ابن المعتــز رويًّــا نادرًا غريبًا، يبدؤها بقوله:

أنعــــتُ أمثالًـــا قُـــذِذْنَ قـــذَّا
يشحذُها الشَّوْطُ البطيءُ شَحْذَا[3]

وليست كل قصائد ابن المعتز خالصةً في الفهد، فقد يأتي ذكره في مطلــع قصيدة، كهذا المعنى الذي قاله في فهدة، وهو يمدح المعتضد، وقد بدأها بمطلــع غزليٍّ، يقول فيه:

---

(١) ديوان ابن المعتز ٢٥/١، والمصايد والمطارد ص١٩٩، وأشعار أولاد الخلفاء وأخبــارهم، للصولي، لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي ص٢١٥ (مطبعة الصاوي، القاهرة ١٩٣٦م)، والأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٧.

(٢) ديوان ابن المعتز ٤٢/١، والمصايد والمطارد ص٢٠٠.

(٣) ديوان ابن المعتز ٢٠/١، والمصايد والمطارد ص١٩٩، وينظــر: أشــعار أولاد الخلفــاء وأخبارهم، للصولي، لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبــد الله ص٢١٥ (مطبعــة الصــاوي، القاهرة ١٩٣٦م).

وَحُلِــوْ الــدَّلالِ مَلــيحِ الْغَضَــبْ يَشُــــوب مَواعيَـــــدهُ بالْكَـــــذِبْ

قَصِـــير الْوَفـــاءِ لأَصـــحابِهِ فَهُــمْ مِــنْ تَلَوُّنِــهِ فِــي تَعَــبْ[1]

ثم يُتْبعه بقوله في الفهدة:

ولا صَـــــيْد إلا بوثَّابـــــةٍ تَطِيـــر علـــى أربـــع كالعـــذَبْ

فـــإن أُطْلقـــتْ مـــن قِلاداتهـــا وطـــارَ الغبـــار وجـــدَّ الطَّلَـــبْ

فَزَوْبَعَـــةٌ مـــن بنـــاتِ الرِّيـــاحِ تُريـــك علـــى الأرض شـــيئًا عَجَـــبْ

تَضُـــمُّ الطَّريـــد إلـــى نَحْرهـــا كَضَـــمِّ الـــمُحِبِّة مـــن لا يُحِـــبْ[2]

ويُروى له بيتان في الفهد لا ندري أهما مستقلان بنفسهما أو همـا مـن قصيدة، وهما قوله:

وعـــابسُ الوَجْـــه لا لقَادحـــةٍ تحسَـــبُه مـــن قبائـــل التُّـــرْكِ

تخـــالُ أثوابَـــه مُصَـــنْدَلَةً نَقَّطَهَـــا الغانِيـــاتُ بالـــمِسْكِ[3]

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، للصولي، ص١١٩.

(٢) ديوان ابن المعتز ١٢/١، والمصايد والمطارد ص١٩٢-١٩٤، والأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٦.

(٣) مطالع البدور ومنازل السرور، علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي ٢٠٩/١ (مطبعة إدارة الوطن ١٣٠٠هـ).

ابن طَبَاطَبا (ت ٣٢٢ هـ):

(ابن طباطبا) لقبٌ لغير واحدٍ من الأعلام[١]، وصاحبنا هو: أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلويّ[٢]، من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ وقد رجّحت ذلك لنصّ الشمشاطي في (محاسن الأنوار) على أنه: "العلويّ"[٣]، وبهذا كان يُعرف، ولأنه كان شاعرًا وناقدًا مشهورًا، له كتاب (عيار الشعر) وغيره؛ فإذا أطلق في مثل هذا السياق انصرف الخاطر إليه.

لم يروِ طرديته الفهدية إلا الشِّمشاطي في (محاسن الأنوار)، وهي تنقص من أولها، والمرويُّ منها يبدأ بقوله:

لَهَـــوْتُ فيـــهِ بصَـــوْتِ راكبَـــةٍ نازِلـــــةٍ وَقْـــتَ كُـــلِّ إيمَـــاءِ
تُرْكِيَّـــةِ الوَجْـــهِ حـــينَ تَنْعَتُهَـــا رُوميَّـــةِ الـــمُقْلتَيْن كَحْـــلاءِ(٤)

وهذا الجزءُ الباقي من القصيدة يبلغ ثلاثة عشر بيتًا.

* * *

(١) ينظر مثلًا: الأعلام، للزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي ٢٠٨/١، ٢٩٣/٥، ١٦٤/٨ (دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥/٢٠٠٢م).

(٢) ينظر: الأعلام، للزركلي ٣٠٨/٥.

(٣) ينظر: الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٥.

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٥.

٤- في العَصْر العباسيّ الثالث (٣٣٤-٦٥٦):

هذا العصر عصرٌ طويل يزيد على ثلاثة قرون، فلا غرابة أن يكون الشعراء أصحابُ الفهديَّات فيه جمعًا لا بأس به، منهم كاتبٌ مُحْدَث لم نهتدِ إلى اسمه، وأيضًا رووا نصًّا لمن وصفوه بـ"بعض الملوك"، ولم يذكروا اسمه، والآخرون هم: أبو فراس، والشِّمْشاطي، وأبو الحُسَين الحافظ، والسَّرَّاج، وابن مُسهر الموصلي، والأرجاني.

بعضُ الكُتَّاب:

جاء في (المصايد والمطارد) لكشاجم قوله: "وقد قال المَحْدَثون في طَرَد الفهد شيئًا كثيرًا نحن ذاكرون ما استحسناه، إلا صيد الدسيس، فما وصفه واصفٌ على حق صِفته سوى بعض الكُتَّاب فإنه يقول فيه:

قد أسْبِقُ الإخوانَ[1] بالتَّغْليسِ
قبل غِناء القَسِّ والنَّاقوسِ
والرَّوضُ مثل حُلَّةِ الطَّاوُوسِ
والريِّحُ مثل نَكْهَةِ الكُؤُوسِ"[2]

إلى آخر ذلك الرجز.

والذي جعلنا نؤخر صاحب هذا الرجز إلى العصرين العباسي الثاني أو الثالث، نعتُ كشاجم له بأنه من شعر المحدثين، فلعل ذلك بالنسبة إليه، وهو الذي توفي سنة ٣٦٠ هـ.

---

(١) في المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٨٧: "الأذان"، وهو تصحيف، والتصويب من كتاب البيزرة ص١٢٣.

(٢) المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٨٧، وقد نُقلت عنه مع تحريف في بعض المواضع في كتاب: البيزرة ص١٢٣.

بعضُ المُلوك:

أورد كُشاجم في (المصايد والمطارد) فصلًا قال فيه: "ذكر ما قيل في ابتذال الملك نفسه في الصيد بهذا الضاري، ومباشرته له. وقد ذكر ذلك عن كثير من الجِلَّة والملوك... وقد قال بعضهم في ذلك:

ومن شَغَفي بالصَّيد والصَّيدُ شاغفٌ مُطَاردتي للوَحْشِ والفهدُ لي رِدْفُ"[1]

وليست هذه طرديَّة بالمعنى الصحيح للكلمة، وإنما هو ذِكْرٌ عارضٌ؛ لأنه لم يذكر شيئًا من قصة الصيد بالفهد، بل يفخر بنفسه فحسب.

أبو فِرَاس (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ):

هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الحمداني، شاعرٌ فارس مجيد. وهو ابن عم سيف الدولة. كان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس. وله وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة. جُرح في معركة مع الروم، فأسروه سنة ٣٥١ هـ فامتاز شعره في الأسر برومياته، مات قتيلا سنة ٣٥٧ هـ. له ديوان شعر مطبوع[2].

وليس ما روي له طردية بالمعنى المعروف، بل هما بيتان من الرجز التامّ وردا عَرَضًا في منظومةٍ له في ألوان الصيد بالفهد والكلب والبازيّ وغيرها، وهما قوله:

فقلتُ للفهَّادِ فامضِ وانفردْ وَصِحْ بنا إنْ عنَّ ظبيٌ وَاجتَهِدْ

(١) المصايد والمطارد ص١٩٦.

(٢) ينظر في هذه الترجمة: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الإربلي ٥٨/٢ (تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت)، والأعلام ١٥٥/٢.

فلـــمْ يـــزلْ غيـــرَ بعيـــدٍ عنَّـــا إليـــهِ يمضـــي مـــا يفـــرُّ منَّـــا[1]

ومثل هذه الأشعار يُقصد بها إظهار المعرفة بتاريخ الشعر، وليس محضَ الوصف على الحقيقة.

الشِّمْشَاطي (كان حيًّا ٣٩٤ هـ):

هو أبو الحسن علي بن محمد الشِّمْشاطي[2]، كان شاعرًا يمدح الملـوك. وهو شاعر مصنف مؤلف، مليح الحفظ كثير الروايـة، صـنف كتـاب (الأنـوار ومحاسن الأشعار)، وغيره. لم يُذكر تاريخ وفاته، ولكن ورد في (تاريخ بغداد) أنه دخل واسط في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة[3].

أثبت الشِّمشاطي لنفسه في كتابه (الأنوار) طرديةً فـي فهـد، يسـتهلها بقوله:

ورَوْضةٍ باتَ الحيَا بَها لَهِجْ

ثم يقول:

باكَرْتُهَا والصُّبحُ مفْتُوحُ الرِّيَجْ
واللَّيْلُ في جَيْشِ الظّلامِ مُدَّلِجْ
بأَفْطَسٍ أَرْقَشَ مَحْبُـوكٍ شَنِجْ
يَعُومُ من غُبَارِهنّ في لُجَجْ[4]

وهي من أطول الفهديات بعموم تقترب من خمسين بيتًا مشطورًا.

---

(١) ينظر: ديوان أبي فراس ٤٣٥/٢ (تحقيق سامي الدهان).

(٢) قال ياقوت: "شمشاط بكسر أوله، وسكون ثانيه... بالروم على شاطىء الفـرات" (معجـم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي ٣٦٢/٣، دار الفكر، بيروت).

(٣) تاريخ بغداد ٩٣/١٩ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٤) الأنوار ومحاسن الأشعار ص٢٧٧.

أبو الحُسَين الحافظ:

أبو الحسين هو: محمد بن أبي أحمد بن أبي الحسين الشاهد الشروي الحافظ. وهو رجلٌ غير مشهورٍ لنا، وقد وجدتُ في تاريخ دمشق: "محمد بن الوزير أبو الحسين الحافظ، والد أبي أحمد الحسين أصله من بغداد له شعر لا بأس به"(١). وولدهُ هو: الحسين بن محمد بن الوزير أبي أحمد بن أبي الحسين الشاهد الشروي الحافظ كاتب الميانجي، مات في سنة أربعمائة، وكان عمره مائة سنة وسنة"(٢). فأبوه إذن من رجالات القرنين الثالث والرابع معًا. ويكون قد عاصر أو سبق كشاجم الذي نقل عنه، وكشاجم هو المتوفى سنة ٣٦٠ هـ.

ومطلع طرديَته الفهدية قوله:

قد أسْبِقُ العُصْمَ وغيرَ العُصمِ
بجيّدِ القَلْبِ بَعِيد الهمِّ
مدنَّرِ الجلدِ خَفيفِ اللَّحمِ
كأنه في ثوبِ خَزٍّ رَقْمِ(٣)

وهي أرجوزة ليست بالطويلة، إذ تبلغ عشرة أبياتٍ مشطورة.

السَّرَّاج:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد السَّرَّاج الصُّوري، معاصر ابن مُسهر الذي مات سنة (٥٤٣ هـ) وقد أناف على التسعين(٤).

(١) تاريخ دمشق ١٧٨/٥٦.
(٢) ينظر: تاريخ دمشق ٣٢٣/١٤.
(٣) المصايد والمطارد ص٢٠٠-٢٠١.
(٤) وفيات الأعيات ٣٩٢/٣-٣٩٣.

قال يصف الفهد:

وأهْرتِ الشِّدق فيــهِ وفــي يــده ما في الصَّــوارم والخطَّيَّــةِ الــذُّبلِ[1]

تَسَاهم اللَّيلُ فيــه والنَّهــار معًــا فَقَمَّصَــاه بجِلْبــابٍ مــن الـــمُقَلِ

والشَّمس مُذْ لقَّبوها بالغَزَالــةِ لــم تَطْلــع لنــاظِرِه إلا علــى وَجَــلِ[2]

وهي أبيات قليلة لها تتمة؛ فقد جاء في (وفيات الأعيان) في ترجمة ابــن مُسْهر تعقيبًا على شعره في الفهد: "وهذه الأبيات مع أنها جيدة مأخوذة من أبيات الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد السرَّاج الصوري، وكان معاصره، في وصــف الفهد، وهي من جملة قصيدة"[3].

ابن مُسْهِر الـمَوْصلي (ت ٥٤٣ هـ):

ابن مُسهر هو: مهذَّبُ الدين أبو الحسن علي بن سعد بن علي الموصلي، شاعر، روي أن له ديوانًا في مجلدين[4]. وقد ذكروا أنه من معاصــري الســرَّاج (ت ٥٠٠ هــ)، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن ابن مسهر توفي سنة ٥٤٣ هــ وقد أناف على التسعين[5].

وهذه القصيدة ليست خالصةً للفهد، بل فيها وصفٌ للخيل أيضًــا، يقــول فيها:

---

(١) في الشطر الأول انكسار، إذ البيت من البسيط.

(٢) نهاية الأرب، للنويري ٢٥٣/٩.

(٣) وفيات الأعيات ٣٩٢/٣-٣٩٣.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ٨٩/٢١ (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هــ).

(٥) ينظر: الوافي بالوفيات ٨٩/٢١.

وكلُّ أهْرت بادي السُّخط مُطَّرح الـــ ـــحيـــاء جَهْـــمُ المحيَّـــا ســـيِّئ الخُلُـــق

والشمسُ مُذْ لَقَّبوها بالغزالة أعـ ـــطَتْه الرَّشَا حسدًا من لونهـــا اليَقَـــق

ونَقَّطَتْـــه حبـــاءً كـــي يُســـالمها على المنايـــا نِعَـــاجُ الرَّمـــل بالحَـــدَق

هذا ولم يبرزا مَـــعْ سَـــلْمٍ جانبـــه يومًـــا لنـــاظره إلا علـــى فَـــرَق[1]

وقد زعموا أنه أخذ هذه الأبيات من أبيات عصريَّه السرَّاج التي مرَّت بنا، ففي (وفيات الأعيان): "وهذه الأبيات مع أنها جيدة مأخوذة من أبيات الأمير أبـــي عبد الله محمد بن أحمد السراج الصوري –وكان معاصره– في وصف الفهد"[2].

الأرَّجاني (٤٦٠ – ٥٤٤ هـــ)

ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرَّجـــاني، وأرَّجـــان: مثقَّلَة الرَّاء، واستعملها المتنبي مخففةً محرَّكةً في شعره. والأرَّجاني فقيه شاعر، بل وُصف بأنه: "شاعر زمانه"[3]. وروى الذهبي أنَّ الذي دُوّن من شعره أقلُّ من العُشر، وأنه كان قاضي تُسْتَر، ومات بها سنة ٥٤٤ هـــ، وقـــد عـــاش أربعًـــا وثمانين سنة هـــ [4].

(١) وفيات الأعيات ٣٩٢/٣.

(٢) وفيات الأعيات ٣٩٢/٣-٣٩٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ٢١٠/٢٠ (حُقق بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/١٤٠٥ هـــ).

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١١/٢٠.

ومعانيه في طرديته الفهدية لا تخلو من تتبُّع لمعاني مَنْ سبقه في الفهد، وهو يفتتحها بقوله:

وأَهْـــرت أُدْمٍ بَـــدَتْ كاســـمِها ... بـــه الـــدَّهر أدم لنـــا يُؤتَـــدمْ

من النَّمَـــر خِـــيط علـــى جِسْـــمِهِ ... أديـــمٌ تعـــيَّن لا عـــن حلـــمْ[1]

* * *

(١) مطالع البدور ومنازل السرور، للبهائي ٢٠٩/١.

إحصاء بالطرديَّات الفهديَّة وأصحابها

	الشاعر	العصر	عدد القصائد والمقطعات
١	أبو النجم العجلي (ت ١٣٠ هـ)	الأموي	١
٢	غيلان بن حُريث (ت ؟)	الأموي أو العباسي الأول	١
٣	أبو نواس (ت ١٩٨)	العباسي الأول	١ + ٣ منسوبة ولكنها عباسية
٤	الرُّقاشي (ت ٢٠٠ هـ)	العباسي الأول	١
٥	ابنُ أبي كريمة (معاصر للجاحظ)	العباسي الأول	١
٦	ابنُ طَاهر (ت ٢٥٣ هـ)	العباسي الأول	١
٧	الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣ هـ)	العباسي الثاني	١
٨	ابن الـمُعْتَزّ (٢٤٧-٢٩٦ هـ)	العباسي الثاني	٥
٩	ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ)	العباسي الثاني	١
١٠	كاتبٌ مُحْدَث (ت ؟)	العباسي الثاني أو الثالث	١
١١	بعض الملوك	العباسي الثاني أو الثالث	١
١٢	أبو فِرَاس (ت ٣٥٧ هـ)	العباسي الثالث	١
١٣	الشِّمشاطي (كان حيًّا ٣٩٤ هـ)	العباسي الثالث	١

١٤	أبو الحُسَين الحافظ (عصر كشاجم)	العباسي الثالث	١
١٥	السَّرَّاج (عصر ابن مُسهر)	العباسي الثالث	١
١٦	ابن مُسهر الموصلي (ت ٥٤٣ هـ)	العباسي الثالث	١
١٧	الأرّجاني (٤٦٠ – ٥٤٤ هـ)	العباسي الثالث	١
	المجموع: ١٧ شاعرًا		المجموع: ٢٤ طردية

* * *

ثانياً: المُحْتَوى الفَنّي:

١- أوزان الطرديّات الفهديّة:

استحب الشعراء أن ينظموا الطَّرَديات عمومًا في بحر الرجز، حتى لقد ادعى بعضُ الدارسين –مثلًا– أن أبا نواسٍ قد اقتصر على الرجز في طرَديّاته[١]. وقد نُظمت الطرديَّات الفهديَّة من بدايتها على الرجز، أعني الرجز المشطور، بدأ هذا أبو النَّجْم العِجْليّ (٦٠-١٣٠هـ) الراجز الأموي، بقوله:

إنَّا نَزلْنا خَيْرَ مُنْزَلاتِ
بين الجُمَيْرات المُباركاتِ[٢]

ثم سار على هذا معظم من جاء بعده ممن قال في الفهد، فنظموا على الرجز؛ والسببُ في هذا سببٌ فنِّيٌّ إذ نُظمت الطرَديات من أولها غالبًا على الرجز، فاتَّبع الشعراء ذلك، وكأنَّ الطَّرَد حين يُذكر يُنتظَر أن يكون على الرجز، وكان هذا يُرافقه إغرابٌ في اللغة في هذه الطرديات، وهذا الإغراب من السَّمات الفنية اللائطة بمجمل الطَّرديَّات، ثم جاءت الفهديَّات وقد خفَّ فيها هذا الغريب. ولا ننسَ أنَّ رؤبة وولده ملآ رجزهما بهذا الغريب فصار تقليدًا متَّبعًا.

ومع ذلك نصادف عددًا لا بأس به من الشعر الفهديِّ قد نُظم على غير الرجز، يبلغُ ثمانيًا، وهي هذه الطرديات:

الأولى: لابن أبي كريمة من بحر الطويل، مما يقول فيها:

بذلك أبغِي الصَّيد طورًا وتارةً بمُخطفَةِ الأكْفَال رُحْبِ التَّرائبِ

---

(١) ينظر: الأدب العباسي، ضمن موسوعة كامبردج في تاريخ الأدب العربي ص٢٩٥. وهذا القول كاد أن يكون صحيحًا لولا بعض الطرديات التي نظمها أبو نواس على غيره، كالمديد مثلًا في طرديته التي مطلعها: "ربما أغدو معي كلبي" (ينظر فهرس القوافي في ديوانه).

(٢) ديوان أبي النجم العجلي ص١٠٥.

والثانية: لأبي العباس الناشئ (ت ٢٩٣ هـ) الذي نظم على الطويل كذلك فقال:

وأَنْمرَ مَوْشـيِّ القَمِـيصِ مُوَلَّـعٍ كـأَنّ عليـه منـه رَقْمًـا مُوَشَّـمَا

والثالثة: لعبد الله بن المعتزّ (ت ٢٩٦ هـ) الذي يقول في فهدة، من بحر المتقارب[1]:

ولا صـّـيْد إلا بوثَّابـةٍ تَطيـر علـى أربَـعٍ كالعَـذَبْ

والرابعة: لابن طباطبا العلويّ (ت ٣٢٢ هـ)، يقول من بحر المنسرح (٢):

لَهَـوْتُ فيـه بصَـوْتِ راكبَـةٍ نازِلـةٍ وَقْـتَ كـلِّ إِيـمَاءِ

والخامسة: قول بعضهم من الطويل:

ومن شَغَفي بالصَّيد والصَّيدُ شـاغفٌ مطاردتي للوَحْش والفَهْـدُ لـي رِدْفُ

والسادسة: للسرَّاج، من البسيط:

وأهـرت الشِّـدق فيـه وفـي يَـدِهِ ما فـي الصَّـوارم والخَطَّيَّـةِ الـذُّبُلِ

وفي الشطر الأول كسرٌ لا يخفى.

والسابعة: لابن مُسْهِر (ت ٥٤٣ هـ) من البسيط:

وأهرت الشِّدق بادي السُّخْط مُطَّرح الـ حياءِ جَهْم الـمُحَيَّا سـيّئ الخُلُـق

والثامنة: للأرجاني (٤٦٠ – ٥٤٤ هـ) من المتقارب:

وأهـرت أدم بَـدتْ كاسـمِها بـه الـدَّهر أدم لنـا يُؤتَـدمْ

لكنْ في الشطر الأول تصحيف في لفظة "آدم" يضطرب به الوزن.

(١) المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٩٢-١٩٤.

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ٢٧٥.

وإذا كان ما وقفنا عليه من الطرديات الفهديَّة يبلغ ٢٤ طردية، فإنَّ هـذا العدد هو ثلث ذلك العدد، وهي نسبةٌ لا بأس بها استطاعت أن تخرج من عبـاءة الرَّجز في الطَّرَد، وهذه خصيصةٌ نستطيع رصدها من الخصائص الفنيَّة في وصف الفهد.

* * *

٢- مَسْألة الغَريب:

نستطيع القول: إن الطرديات الفهدية لم تجنح إلى الإغراب عمدًا في مجملها، فالشاعر -غالبًا- لا يريد إبراز المقدرة اللغوية لديه كما في كلبيَّات أبي نواسٍ مثلًا، وإنما يريد أن يقول ويصف المشهد، هذا في العموم، أما إذا كان مقصد الشاعر الإعرابَ عن علمه باللغة، فإن الطرديَّة تجيء مُغرِبة في ألفاظها.

وأيضًا فإنَّ طائفةً صالحةً من هذه الطرديَّات الكلبيَّة جاءت على صورة قصائد لا أراجيز، والأرجوزة بطبيعتها قالبٌ قديمٌ من قوالب الإغراب منذ عهد رؤبة وولده؛ فهذا تفسيرٌ آخر لقلة الغريب في هذا النوع من الطردية.

فأبو نواس وإن كان أكبر شعراء العربية قولًا في الطرديات، لم يكن أصدقهم في هذا الفنّ، وإنما كان شعره على سبيل الصناعة الشعرية التي يُبرز بها الشاعر قدرته وموهبته، قدرته على الإغراب كالجاهليين، وموهبته في الوصف وتفتيق المعاني الدقيقة. وأبو نواس نفسه لا يَظهر أنه عانى حرفة الصيد، أو خرج كثيرًا في دروبه، وإنما كان يتصوَّر ويتخيَّل على عادة المهرة من الشعراء. من أجل هذا ربما لا نحسُّ روحًا محلِّقًا في كثير من طرديَّاته، كقوله في بعض الكلبيَّات يستعرضُ علمَه بمتن اللغة:

يُقمِّمُ القائدَ في حَطَاطِهِ[١]
وقدّهِ البيداءَ في اعتباطِهِ[٢]
لمَّا رأى العَلْهَبَ في أقْواطِهِ[١]
سابَحَهُ، وقَرَّ في الْتباطِهِ[٢]

(١) يقممه: أي يصرعه ويجعله كأنه يكنس الأرض كنسًا كما تكنس القمامة، من شدة تتبعه له. "من حطاطه": من شدة عدوه وسرعته (ينظر: تاج العروس:حطط)، كأنه منحطٌّ من جبل.
(٢) عبط الأرض: حفر فيها موضعًا لم يُحفر من قبل (لسان العرب: عبط).

ونحن نوافق ما ذهب إليه الأستاذ العقاد في أن صنيع أبي نواس هذه الكثرة الكاثرة من الطرديات كان على سبيل (العرض)[٣]، أي عرض قدرته على قول الشعر في هذا الفنّ المُغْرب؛ ولذا كان فهمه إياه أنه كتلٌ من الغريب مرصوصةٌ، لا تكاد كلمةٌ فيه أن تكون مألوفة؛ إنها عقدةٌ (نفسيَّة) كما أشار الأستاذ العقاد، يعوض بها أبو نواسٍ أشياء آلمته، أو استُنقصتْ منه.

وأنت لا تجد هذا السعي إلى الإغراب فيما نحن فيه من الفهديات، بل تجد صدقًا في الوصف، فليست الغاية لفظيَّةً معجميَّةً، بل شعريَّة تصويرية، نعم ستقع على ألفاظٍ غراب يقتضيها الغرض؛ ولكنها ليست مسوقةً لذواتها، بل هي مسوقةٌ لإكمال تلك الصورة. هذا في مجمل ما وقعنا عليه من تلك القصائد والأراجيز، وهذا فارقٌ مهمٌ بين الفهديَّات وكلبيات أبي نواس على الأقل.

فمن أمثلة ما فيه الغريب قول ابن المعتز مثلًا:

---

(١) العَلْهَبُ: التَّيْسُ من الظباء الطويلُ القَرْنَيْن (لسان العرب: علهب). والأقواط جمع قَوْط: القَطيع (لسان العرب: قوط).

(٢) الالتباط: عَدْوٌ مع وَثْب، وإذا عدا البعير وضرب بقوائمه كلها قيل: مَرَّ يَلْتَبط (لسان العرب: لبط).

(٣) ينظر: أبو نواس، لعباس محمود العقاد ص١٥٨ وما بعدها (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م).

أنعــتُ أمثالًــا قُــذِذْنَ قــذَّا
يشحذُها الشَّوْطُ البطيءُ شَحْذَا
نَوازيًا خلــفَ الظِّبــاء حُــذَّا
كأنمــا تجبــذُهن جَبْــذَا
تحــذُّ غِيطــانَ الفَــلاةِ حــذَّا
كالنَّبْل هــذَّتْها القَسِــيُّ هــذَّا

فقد أدّى به إلى الإغراب الرويُّ الذاليّ العَسِر، النادرُ في شعر العرب.

وقد تبدو الصناعة على محيَّا الأرجوزة بكثرة ما فيها من غريــبٍ، ومــن تكلفٍ في الصورة، كقول الشِّمشاطي:

يذب عن قمراء مطمار الــردجْ
بمِثْلِ قَيْدِ الفِتْرِ نَضْــنَاضٍ مِلَــجْ
مِثْل لِسَانِ الأُفْعُوانِ الــمُخْتلجْ
وما من الأيام من محــروسِ[1]

وأما ما سوى ذلك فإنها أبياتٌ ذاتُ لفظ مألوف، إلا من لفظــةٍ أو ألفــاظٍ قليلة، كقول ابن المعتز نفسِه الذي أغرب منذ قليلٍ، في فهدةٍ[2]:

(١) المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٨٧. وقد نُقلت عنه مع تحريف في بعض المواضع فــي كتاب: البيزرة، لبازيار العزيز بالله الفاطمي، أبي عبد الله الحســن بــن الحســين (ظنًّــا) ص١٢٢ (نظر فيه وعلق عليه محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٢م).

(٢) المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٩٢-١٩٤.

ولا صَـــــــيْدَ إلا بوثَّابـــــــةٍ تطيـــرُ علَـــى أربَـــعٍ كالعـــذَبْ
فـــإن أُطْلِقَـــتْ مـــن قِلَادَاتِهـــا وطـــار الغُبـــارُ وجـــدَّ الطَّلَـــبْ
فزَوْبعَـــةٌ مـــن بنـــات الرِّيـــاحِ تُريـــك علـــى الأرضِ شـــيئًا عَجَـــبْ

وكقول ابن طباطبا العلوي في ألفاظ سهلةٍ سمحة:

لَهَـــوْتُ فيـــه بصَـــوْتِ راكبَـــةٍ نازِلـــةٍ وَقْـــتَ كُـــلِّ إيمَـــاءِ
تُرْكِيَّـــةِ الوَجْـــهِ حـــينَ تَنْعَتُهَـــا رُوميَّـــةِ الـــمُقْلَتَيْن كَحْـــلاءِ
أَبْرَزَهَـــا الحُسْـــنُ فـــي مُشَـــهَّرَةٍ قـــد فُوِّفَـــتْ مثْـــلُ بُـــرْدِ صَـــنْعَاءِ
كأَنّمَـــا شَـــبَّكَ الإلـــهُ بِـــهَا ظُلْمَـــةَ ليْـــلٍ بشَـــمْسِ إمْسَـــاءِ!

* * *

٣- اسْمُ الفَهْد:

ومما نرصده في هذه الطرديات أن بعض الشعراء قد ينصُّ على اسم (الفهد) توكيدًا؛ لكيلا يُظنَّ أن الطردية في ذي نابٍ غيره كالكلب، وهذا ضربٌ من التدقيق، كقول أبي نواس في أرجوزته الدالية التي بناها على الدال، ليجعل نهايتها بلفظ (الفهد):

لا خيْرَ في الصّيدِ بغيرِ فَهْدِ

ومن هذا قول ابن طاهر:

وليسَ للطِّرَاد إلّا فَهْدُ

وقول بعضهم:

ومن شَغَفِي بالصَّيْدِ والصَّيْدُ شاغفٌ مُطارَدَتي للوَحْش والفَهْدُ لي رِدْفُ

وربما نصُّوا على أنها (فهدةٌ) مؤنَّثة، والفهدة كما يقول الجاحظ في (الحيوان): "أجرأ، وأمضى، وأقوى" من ذكرها[1]؛ فهي أمهرُ في الصيد عندهم؛ ولذلك يذكرون جنسها تبيانًا لقوتها وحنكتها في ذلك، يقول غيلان بن حُريث:

بفَهْدةٍ بُورِكَ في جَلَّابِهَا

وقول الرقاشي:

بفهدةٍ ذاتِ شوًى مُضَبّرِ

* * *

(١) الحيوان ٢/٢٣١.

٤- قِصَّةُ الطَّرَد:

لا يكتمل البناء في طرديات فهدية كثيرة مما بين أيدينا، إذ لا تصل إلينا الطردية كاملة من طريق الرواية، نضرب مثلًا على ذلك بطردية ابن طباطبا العلوي الذي تنقص قصيدته من أولها؛ إذ تبدأ روايتُها بقوله فيها:

لَهَوْتُ فيه بصَوْتِ راكبَةٍ نازِلةٍ وَقْتَ كُلِّ إِيمَاءِ

فإن اكتملت تلك الطرديات فإن بعضها قد يطول حتى يصل إلى حوالي خمسين بيتًا، كما عند عبد الصمد بن المعذَّل -مثلًا- والشِّمشاطي، وأبي النجم العجليّ.

على أننا نشير إلى أن من الشعراء مَنْ لم يكتف بطردية واحدة، بل أنشأ غير طردية؛ وخيرُ مثال على هذا ابنُ المعتز، الذي عثرنا له على خمس فهدياتٍ ما بين قصيدة ومقطَّعة.

وقد يكون وصفُ الفهد جزءًا من قصيدة لا قصيدةً مستقلَّة بنفسها، كما عند ابن أبي كريمة الذي وصف الكلب، ثم وصف الفهد، وكأبي فراسٍ الحَمْداني في أرجوزته التي اختلف فيها القول في صنوف من المصايد والمطارد، وكابن المعتز؛ ولكنْ غالب ما جاء من الطرديات الفهدية إنما جاء في هيئة قصيدة أو مقطَّعةٍ مستقلة، أي في قالَبٍ بنائيّ خالص.

ومن حيث البناء الفني، فإنَّ هذه الطرديات الفهدية مبنيَّةٌ على قالبٍ معروف للطرديات هو قالَب القصة، وهذا النحو من البناء الحكائي له أصولٌ قديمة منذ كان الشاعر الجاهليُّ يسرد لنا مشهد الصيد، أو فلنقل: يرسم لنا قصة ذلك الصيد في قصائده في لوحاتٍ أو صور مبثوثة في إطار قصيدته، كما عند أبي ذؤيبٍ الهُذلي مثلًا. ثم استقلتْ صورة الصيد في بعض اتجاهاتها في قصائد

منفصلة سُمِّيتْ بـ(الطرديات)، وهي تحكي لنا قصة الصيد ومشاهده. ولقد حدث ذلك ابتداءً في عصر بني أمية كما أثبتناه في طيَّات هذا البحث.

إنَّ القصة في الطرديَّات الفهديَّة -والطرديَّات عمومًا- ليست قصة (حديثة) بمفهوم النقد الحديث الذي يريد للقصة أصولًا وشروطًا معينة؛ بل هي قصة ساذجة، لا نقول هذا الوصف من قبيل النقد السلبي لها، بل وصفًا لطبقاتها ومراحلها النمطية المتوقعة؛ فهي سردٌ يمكن أن نَنْظمه في ثلاثة مستويات:

١- افتتاحٌ فيه ذكر الرحلة وتوقيتُها.

٢- ثم ذكرٌ لطريقة الصيد وعلاجِه، بما يتضمن من وصفٍ لشخوص الصيد من: صائدٍ هو الفهد، وطريدةٍ، وربما أُشيرَ إلى صاحب الفهد ورفقته على سبيل المدح، ويدخل في هؤلاء الشاعر نفسُه حين يعرضُ لنفسه في هذه الرحلة في مقام الفخر.

٣- ثم ذكرٌ لخلاصة الرحلة ونتيجتها بالظفر بالفريسة وقنصها أو أكلها.

أمَّا الافتتاح، فإنَّ مما يُرصَد في أوائل الطرديات الفهدية أنَّ بعضها منسوجٌ على منوال قصة امرئ القيس: "قد أغتدي"، وهذا لا يقتصر على الفهديات وحدها، بل نجده في سواها من قصائد الطرد، ولا سيّما الكلبيَّة منها. فقد خلص بعض الباحثين إلى أن مجمل الطرديَّات إما أن يُبني على مطلع (الغدوّ)، وإما أن يُبنى على قالَبٍ لفظيٍّ صيغتُه (أنعتُ كلبًا)[1].

أما ذكر (الغدوّ) في الفهديات، فلعل أول من سار على هذه الطريقة هو غيلان بن حُريث في قوله:

(١) الأدب العباسي، ضمن موسوعة كامبردج في تاريخ الأدب العربي ص٢٩٢-٢٩٣ (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١/٢٠١٧م).

قد أَغتدِي والشَّمْسُ في حِجَابها
مَستورةٌ لم تَبْدُ مــن جِلْبابِهَــا

وسار غيرُه على هذا النحو أيضًا، وهذا بيانٌ بمطالع هذه الأراجيز:

المطلع	الشاعر
قد أَغتدِي والشَّمْسُ في حِجَابها	غيلان بن حُريث
قد أغتدي واللَّيلُ أَحْوَى السُّدِّ	أبو نواس
قد أغتدي والصبح مثل المحضِ	مجهول عباسي (نسبت خطأ إلى أبي نواس)
قد أغتدي والليل في اسودادِهِ	مجهول عباسي (نسبت خطأ إلى أبي نواس)
قد أغتدي والليل في سواده	مجهول عباسي (نسبت خطأ إلى أبي نواس)
قد أغتدي والشمس في أوراقها	عبد الصمد بن المعذّل

على أنَّ جُلَّ الطرديات الفهدية التي بين أيدينا لا ينحو هذا النحو، فهي تبدأ بغير "قد أغتدي"، وبغير جملة "أنعتُ كذا"، وهذا خلافٌ نُسجِّله في هذا النوع من الطرديَّات دون غيرها من صنوف الطَّرَد، ولعلَّ ذلك كان لما للفهد من خصوصيَّة، فقد استحق أن يوصف بوصفٍ مختلف.

ثم يأخذ الشاعر في وصف عملية الصيد وشخوصه من صائدٍ ومَصيد كما سنبينه تفصيلًا في هذا البحث.

أما النهاية فقد تنتهي بذكر الغنيمة والأكل من الطريدة، كقول غيلان بن حُريث:

ولَـــذَّةٍ ونَعْمَـــةٍ تَغْنَـــى بِهَـــا
بَيْنَ قُدورٍ جَمَّـــةٍ نُـــؤتَى بِهَـــا
وبَيْنَ خامِيزٍ[1] ومِـــن كَبَابِهَـــا
عَطِيَّـــةٌ مِـــن رَبِّنَـــا وَهَّابِهَـــا

وكقول ابن المعتزّ:

فظلَّـــتْ لحـــومُ ظِبَـــاءِ الفَلَـــا علـــى الجَمْـــرِ مُعْجَلَـــةً تُنتهـــبْ
كـــأنَّ سَـــكَاكينَهم نَشَّـــرتْ مُعصـــفرةً فـــوقَ جَـــزْلِ الحَطَـــبْ

ومع ذلك فقلَّما تأتي صورة الشواء والأكل من الغنيمة في الطرديات الفهدية، كأنهم شُغلوا بها، وبوصفها، وإحكام ذِكْرِ طردها عن ذكر ما يكون بعد؛ دلالة على أن إتمام طبقات القصة النموذجية كما في الطرديات الكلبيَّة المنتزعة من رحلة صيد امرئ القيس؛ لم يكن هذا الإتمام من وكد الشاعر، فالطرديَّات الفهدية ليست تقليدية غالبًا، وإنما مُنشأة من أجل وصف الفهد والطريدة، لا من أجل إظهار المقدرة اللغوية في الأغلب الأعم.

وقد تنتهي الطرديَّةُ الفهديةُ بحكمة مستوحاة من الصِّراع الذي يُنتجه مشهد الصيد، من أن الموت مكتوبٌ وحق، مهما طالتْ أو ازدانتْ الحياة، كقول أبي النجم في مقطع فهديَّته:

فَلَوْ تَرَى الوُحُـوشَ مُجْعَجِعَـاتِ
مِنْ بعْدِ مـا قَـدْ كُـنَّ رَاتِعَـاتِ
ما أقرب الموتَ من الحيـاةِ[2]!

(١) الخامِيزُ: اللحمُ يُشَرَّح رقيقًا ويؤكل نيئًا، وربما يُلْفح لَفحة النار (لسان العرب: أمص).
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٦٠٧.

وقول الآخر يذكر حتميَّة الموت:

وجِـــدَّةُ العَـــيْشِ إلـــى دُرُوسِ
وما مِنَ الأيَّام مِنْ مَحــروسِ[1]

* * *

(١) المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٨٧.

٥- تصويرُ الفَهْد:

من أكبر صور الطرديات الفهدية، بل هي أكبرها؛ صورة الفهد، ووصفه، ووصف أجزاء جسده، ونحن لا نريد استقصاء ذلك، بل نريد تبيان كثرة تفصيلات هذه الصورة، وتنوع أجزائها؛ إذ لم يترك الشعراء شيئًا من جسد الفهد تقريبًا إلا وصفوه، ثم زادوا على ذلك بعض الصور المعنوية التي تعتري هذا الصائد.

بيَّن الشعراء أنَّ للفهد منزلةً خاصة عند صاحبه، فهذا الحيوان المفترس قد ذَلُلَ لهم وخضع؛ فهو يستحق الإكرام، ولذا قد يردفونه خلفهم على الخيل، كما يقول ابنُ المعتزّ:

لهـا مجلـسٌ فـي مكـان الرَّدِيـفِ كتُركيَّـةٍ قـد سَـبَتْها العـربْ

فهي كالحظيَّة الجميلة المُكْرَمة من بنات التُّرك الجميلات. وقد نقل هذا المعنى ناصحُ الدين الأرَّجانيُّ فقال:

تـراه رديفًـا وراءَ الغُـلامِ وبالشَّـمْسِ الوَجْـهُ منـه الْتَـأمْ

شَـبِيهُ سَـبِيَّةِ جَـيْشٍ غَـدَتْ تُـذيق الكَـرَى مُقْلَـةً لـم تَـنمْ

وربما استشعرتْ الفهودُ مكانتها، وتدليل أصحابها إياها، فاختالتْ، كما في قول غَيْلان بن حُريث:

رَاكِبَـةٍ تخْتَـال فـي رِكَابِهَـا

إن الفهود ليست كالكلاب تركض تحت قدمي صاحبها، أو تحت قوائم خيله، فالكلاب لا تُردَف، ولا تَركب. وتلك من خصوصية الفهد، وإكرامه عند العرب، الذين يحفظون له انقياده وتعلُّمه.

وقد بالغ الرُّقاشيُّ في تصوير زهو فهدةٍ بنفسها وهي راكبةٌ مع صاحبها، كأنها ملكة قد رقتْ منبرًا، فيقول:

كأنَّ فــوق الأعــوجيِّ الأَشْــقرِ
مَلْكًــا ترقَّــى عَتَبــاتِ مِنْبــرِ

وصورة الملك المزدهي بنفسه هذه، المرتفع في مكانه؛ صورةٌ جديدة لا تتكرر فيما بين أيدينا من صور الطرديات الفهدية.

وبعضهم وصفها بالفوارس حين لا تصيد، إذ هي لا تنزل إلا للصيد، يقول:

فَوَارسُ ما لم تلقَ حَرْبًــا، ورَجْلــةٌ إذا آنَسْــتْ بالبِيــدِ شُــهْبَ الكَتَائِــبِ

على أن أهم صفة في الحيوان الصائد أن يكون معلَّمًا[1]، فلا يأكــل مــن الفريسة؛ فإنه إن أكل فقد صاد لنفسه لا لصاحبه، وهذا التعليم ليس سهلًا، فهــو يحتاج إلى تعبٍ ومجاهدة، يقول الناشئ الأكبر:

وعلَّمْتُــه الإمْسَــاكَ للصَّــيْدِ بعــدَما يَئِسْتُ لطَبْــعِ الجَهْــل أن يتعلَّمــا
فجَاءَ علــى مــا شِــئْتُهُ، ووَجَدتُــهُ مُحِلًّا لــما قد كان من قَبْلُ حُرِّمَا !

وهو يقصد بالحِلّ هنا حِلَّ الصيد الذي يُصاد بطريقةٍ صحيحة مــن قبــل الفهد.

وهذا التعليم إما أن يكون من قبل صاحب الفهد، وإما أن يأخــذه معلَّمًــا جاهزًا؛ وهذا ما أشار إليه أبو النجم حين قال:

جَــاء مُطِيــعٌ بمطَاوعَــاتِ
عُلِّمْنَ أو قَــد كُــنَّ عَالِــماتِ

(١) ينظر في تعليم الفهد وتأديبه: الحيوان، للجاحظ ٤٧/٤. وقد ذكر في هذا الموضع أن ذوات الأسنان منها أفضل في تقبل الأدب من الصغار، وأشد إخلاصًا، وهو حينئذٍ أصيد وأنفع.

وهذا الشعر قد قيل في مطلع القرن الثاني، فلعلهم كانوا يأتون بالفهود معلَّمةً من بلاد فارسٍ في أول الأمر، ثم صاروا يعلِّمونها هم.

وقد يذكرون اسم (المعلِّم) صاحب التعليم، كقول الرقاشي:

أدَّبَـــهَا إسْـحاق فـي تَقُـدُّرِ

وبهذا التعليم يمدحها غيلان بن حُريثٍ بقوله:

مُعْفِيَّة السَّائسِ مـن عِتَابِـهَا

فسائسُها لا يلومها لحُسن تأتيها، ولأنها عالمة.

وهي نفسها حريصةٌ على ألّا تُضرَّ بالصيد، لا تجرحه، ولا تؤذيه، يقول ابن طباطبا:

شَـفيقَةٍ بَعْـدَ ذَاك تَحفَظُـهُ مـن غيـر كَلْـمٍ لـه وإيْـذاءِ

ويصور آخرُ تعليمه بطريقة الطباق، فهو في شدة غلوائه وغضبه وقد صاد، تسمح به نفسُه لصاحبه؛ فلا يمسُّه مع أنه في شدة اضطرابه وانفعاله الحيواني، وتلك هي الغاية من التعليم، يعبِّر عن هذا الشِّمشاطي فيقول:

يا حُسْنَهُ في سُخْطِهِ إذا سَمُحْ

ويحكي الناشئ الأكبرُ قصةَ تهذيبه، وأنه علَّمه حتى كفَّه عن كل خُلُقٍ غير مَرْضيٍّ من أخلاق الصيد، فيقول:

أجَدتُ لـه التَّقْـويمَ حتـى كَفَفْتُـهُ عن الشِّيَمِ اللاتـي أَبَـتْ أن تُقوَّمَـا

ومن صفات الفهدة أنها وفيّةٌ لا تغدر بصاحبها ولا بصيده، يقول عبد الصمد بن المعذَّل:

وَفِيَّـةٌ ما الغَدْرُ من أخْلاقِها

وأشهر ما يصوِّرون به الفهد، ويدلُّون به عليه إذا لم يُصرِّحوا باسمه أنه "أهْرت الشدق"، أي واسعُه، وهذا ممتدحٌ في الحيوان الصائد؛ لأنه يتمكن به من إمساك فرائسه، نجد هذا عند ابن مُسْهِر، والسرَّاج الذي يقول:

وأهرتِ الشِّدْق فيه وفي يدِهِ ... ما في الصَّوَارم والخَطِّيَّة الذُّبلِ[1]

ويقول الرقاشي يذكرُ رحابةَ فِيه:

منها إلى شِدْقٍ رُحَابِ المَفْغَرِ

وبالغ الناشئ الأكبر فرأى شدقي فهدِه كالغارَيْن يلتهمان ما عنَّ لهما:

وشِدْقان كالغَارَيْنِ يَلْتَهمانِ ما ... من الرُّبْدِ والحِمْش الأوابِد أُلهما

وهذا الشدق مخطَّط، وصفه بهذا ابن أبي كريمة الكاتب الذي غلبتْ عليه صناعتُه المعتمدة على القلم والكتابة فقال:

مولَّعةٍ فُطْسِ الجِباهِ عَوَابسٍ ... تَخالُ عَلى أَشْداقها خَطَّ كاتبِ

وهذه الصورة الكتابيَّة من جديد ما نجده في وصف الفهد.

ومن أشهر صور الفهد، تصوير مقلته بأنها كحيلة، وهذا الكحل سائلٌ من عينيه، كقول ابن المعتز يصف هذا، ويصفها أنها مع هذا محلاةٌ بثوبٍ ذهبي، هو لون الفهد:

ومُقْلتُها سَائلٌ كُحْلُها ... وقد حُلِيتْ سَبَجًا[2] في ذَهبْ

وكأنَّ هذا الكحل السائلَ دومًا من عيني الفهدة، هو الذي رقّط جلدة وجهها، وطبع جسدَها بهذه المنمنمات السود في قول الأرَّجاني:

(١) في الشطر الأول انكسار، إذ البيت من البسيط.

(٢) السبج: قميصٌ له كُمَّان، وهي لفظةٌ فارسية (لسان العرب: سبج).

جَرَى الدَّمعُ بالكُحْلِ مــن عَيْنِهــا فنَمْـــــنَمَ جِلبابهـــــا إذ سَـــــجَمْ

ويصور عبد الصمد بن المعذَّل اجتماع لمعان العيون واســوداد الآمــاق بهذه الصورة المركَّبة:

كأَنَّهَــا والخــزْرُ مــن حِــدَاقها
والخُطَطُ السُّود علــى أشْــدَاقها
تُرْكٌ جَرَى الأثمد مــن آماقهــا

ويصف ابن أبي كريمة عينيها بأنها حواجل، أي غائرة(١)، وهي مشــتعلة متوقدة كتوقد ضوءٍ في ظلمة، وهذا الضوء أشد ما يكون توقدًا إذا كان في مثــل هذا الموضع الغائر:

مدرَّبَـــــةٍ زُرْقٍ كـــــأنَّ عُيونهـــــا حواجِلُ تَسْتذري مُتُونَ المراكــبِ
إذا قلَّبَتْهــا فــي العَجَــاج حســبتَها سَنَا ضَرَمٍ في ظُلْمَةِ اللَّيــل ثاقِــبِ

وصوَّر الشِّمشاطي العينين بالجمر الملتهب:

يَنظُرُ من جَمْرٍ ويَشْحَى عن زَجَجْ

وقريبٌ منه في وصف العينين قول غيلان بن حُريث:

تَرْنُــو بعَــيْنٍ خِلْــتَ فــي أَثْقَابِهَــا
ضِــرَامَ نَــارٍ طَــارَ مــن لُهَابِهَــا

ونعت ابن المعتز نظرته بالكبر والترفع، وشبَّه اصفرار عينيه باصــفرار السهم الأملس، فهي تبدو من بعيد كأنها مشتعلة، وفي صورة السهم إشارةٌ إلــى الذكاء والمضاء والحدَّة، يقول:

(١) ينظر: لسان العرب: حجل.

يَنْفِى القَذَى عن مُقْلَةٍ فيهـــا شَـــوَسْ
كـــالزُّلَم الأَصـــفرِ صُـــكّ فـــانْمَلَسْ[1]

على أن الناشئ الأكبر يتمهَّل عند هذه الصورة، فيصورها بنار متَّقدة لـــو أُدني منها ذبالٌ لاشتعل:

وعَيْنانِ لو تُدْني إلـــى قَبَسَـــيْهِما ذُبالًـــا تَـــذكَّى منهمـــا وتَضَـــرَّمَا

وهو تصويرٌ رائع يحكي لنا شدة التوقد واليقظة، والإخافة للفريسة. ثـــم هو يتمادى فيصف الجفنين بأنهما قاتلان يغتالان النفوس اغتيالًا، لا تجـــد معـــه فرصةً للنجاة، يقول:

وجِفْنانِ يغتـــالُ الـــرَّدَى لحظاتهـــا فـــلا يُمْكِنـــانِ الـــنَّفْسِ أن تَتلوَّمـــا

ووصفوا أنفَ الفهد، وصفوه بالفَطَس والسَّعة؛ فهو أعونُ له على الركض والطَّرد، إذ يمتلئ صدره بالهواء حينئذٍ، يقول الرقاشي:

فَطْسَاء فيها رَحَـــبٌ فـــي الـــمَنْخَرِ
مثـــل وَجَـــارِ التَّتْفُـــل المغـــوَّرِ

وأما أذنه فهي متكسِّرة:

وأذن مَكْسُـــورة لـــم تُجْبَـــرِ

(١) الشَّوَسُ في النظر: أن ينظر بإحدى عينيه ويُمِيلَ وجهه في شَقِّ العين التـــي ينظـــر بهـــا، يكون ذلك خلقة ويكون من الكِبْر والتِّيهِ والغضب (لسان العرب: شوس). والـــزُّلَمُ، بضـــم الزاي، والجمع الأَزْلامُ، وهي السهام التي كان أَهل الجاهلية يستقسمون بها (لسان العرب: زلم).

وهي رقيقة، مخطَّطة، يقول ابن أبي كريمة:

مرقّقةِ الأذْنــابِ نمــرٍ ظهورهــا مُخطَّطـــة الآذان غُلْـــب الغَـــوارب

ووصفوها بالانتصاب والرهافة، فهي تَسْترق السَّمع من كل اتجاه:

نواصـــب آذان لطـــافٍ كأنهـــا مَـداهِنُ للإجْـراسِ مـن كـل جانـبِ

وقد تواتر وصف الجلد عندهم، فمرآه من أميز ما يميِّز الفهد، إذ جلودها منقَّطة منمَّرة كما في البيت السابق، وتنبغي الإشارة إلى أن التنمير هنا لا علاقة له بالنمر، فهو مما لم يُروَّض ليصاد به، أما الفهد فأمره مختلف. كما فـي قـول أبي الحسين الحافظ:

مـــدنَّر الجِلْـــد خَفيـــف الـــنَّجْمِ
كأنـــه فـــي ثَـــوْبِ خَـــزٍّ رَقْـــمِ

وتغنى أحدهم بجمال هذا اللبوس المنقَّط وزينته عليه، فقال:

جَهْم كُسـي مـن صَـنعة القُـدُّوسِ
ديباجـــةً مِـــنْ أحْسَـــنِ اللَّبـــوسِ
كأنَّمـــا يُبْتَـــزَّ مِـــنْ عَـــرُوسِ

ووصفوا ذنبه بالطول، كقول الرقاشي:

وذنَـــبِ طَـــالَ وجِلْـــدٍ أنمَـــرِ

وأيطلا الفهد كأيطلي أسد:

وأيطلَـــيْ مُسْتأْسِـــدٍ غَضَـــنْفَرِ

وفي صورة لم تتكرر يصف ابن أبي كريمة كفَّ الفهد، ومخلبه الذي يخرج منها، يصوره ينفذُ في الصخر الأصم:

ذوات أشافٍ رُكِّبت في أكُفِّها نوافذَ في صُمِّ الصُّخُور نَواشِبِ

فكفَّاه من القوة والتمكُّن بحيثُ لا تستطيع الفريسة الفكاك منهما.

ويصور الناشئ الأكبرُ مخلبَه في حُقِّه الذي يشبه الحِصن المُعجِز، فيقول:

تَضمَّنَّ أَظْفارًا كأَنَّ حُجُونَهَا حُجُونُ الصَّيَاصِي أَعْجزَتْ أَن تُقَلَّمَا

وصور أبو الحسين الحافظُ خفَّته ورشاقته، فكأنه عنده بعضَ النجوم السريعة المتتابعة، وكأنَّ جسمه لا لحم فيه بوزن درهم؛ إلا العظمَ والعصَب:

تخالُه بعضَ نُجومِ الرَّجمِ
مركَّب من عَصَبٍ وعَظْمِ
ما فيه وزنُ درهمٍ من لحمِ

وهو وصفٌ لشدة إحساسه أيضًا، ولُطْف طبعه.

وهناك صورٌ معنويةٌ -سوى الصور الجِسْميَّة- صوَّروا بها الفهود الطاردة، كصورة المضاء والعزم حين يرى طريدته:

يَعُومُ من غُبَارِهنّ في لُجَجْ
بينَا تَرَاهُ قَامِسًا حتّى خَرَجْ

ومن الصور المعنوية صورة الغضب، وهي متكررة عند كثير من الشعراء، قول ابن طباطبا:

طالبَةٍ صَيْدَها على حَنَقٍ بِجِدِّ شَدٍّ لها وتَعْدَاءِ

وهو يغضب ويهيجُ إن لم يَصِد، يقول الشمشاطي:

إِذَا رَأَى العُفْــرَ ولــم يُؤْسَــدْ يَهِــجْ
إِلاّ يَصِــدْ عَشْــرًا تِبَاعًــا لا يَعِــجْ

ووصفه الناشئ بالعبوس والتجهم:

فيَكْفِيــه مــن إِحضــارِه وَثَبَاتُــهُ ومِن رَوَعَــاتِ الصَّــيْد أَن يتجَّهمَــا

على أن من طريف الصور ذلك التضاد في الصورة بين عبوس الفهد وقد صاد، وضحك صاحبه وفرحته:

بــذي دَهَــاءٍ مُضْــحكٍ عَبُــوسِ

ورأى الناشئ أن هذا العُبوس نوعٌ من الكيد، وإلا فهو وجه الخير، يقول:

ووجــه يجيــل الخيــر فــي صَــفَحَاتِهِ أبَــى كَيْــدُه للخَلْــق أن يَتبسَّــمَا

وصوَّر أبو نواس حِيَلَه ومكيدته وعلاجه للصيد، فقال:

فــانْقَض يــأدُو غَيْــرَ مُجْرَهِــدِّ
فــي لَهَــبٍ منــه، وخَتْــلٍ إدِّ
مثــلَ انسِــيابِ الحيّــةِ العِرْبَــدِّ

وصور بعضُهم ثبات جنان الفهد -بعدما صوَّر سُرعَته- حين غدا به للصيد:

قد أَسْــبِقُ العُصْــمَ وغيــر العُصْــمِ
بجيِّــد القَلْــب بَعِيــدِ الهَــمِّ

* * *

٦- مَشْهَدُ الطَّرَد:

من الصور الكبيرة في الطرديات الفهدية وصف طريقة الطَّرد، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد صورة الفهد نفسه، وقد اهتم الشعراء بهذه الصورة فأخذوا قي وصف طريقة الصيد في مشاهد كثيرةٍ منها.

يُنبئنا عبد الصمد بن المعذَّل أنهم كانوا يذكرون اسم الله حين يُطلقون الفهد، وهذا أمر نادرٌ لعله لم يذكره سواه، وهو شرطٌ من شروط حِلّ الصَّيد، يقول:

حُلَّتْ وسُمِّيَتْ على إطلاقِهَا

ويصف غيلان مشهدًا للصيد حين أطلق الفهدةَ صاحبُها:

فلوْ تَرَى الفَهْدَةَ في الْتهَابِهَا
وشِدَّةِ الغَلْوِ إذا اغْلَوْلَى بِهَا
في نأْيِهَا عَنْهنَّ واقتِرابِهَا
تكَادُ أَن تَخرُجَ من إِهَابِهَا

وهو يُصور قوَّتها وعزمها وهي تعالج الصيد، وتُحاور أولئك الفرائس. ثم يقول واصفًا انقضاضها وإحكامها الصيد بمخلبها ونابها:

فأَقبَلَتْ حَطْمًا على أَصْلابِهَا
وعَرَّضَتْهنَّ على عَذَابِهَا
بَيْنَ شَبَا مْخْلَبِهَا ونَابِهَا
من صَائكِ الأَوْدَاجِ وانْشِخابِهَا

ويصور عبد الصمد بن المعذل صورًا شتى للسرعة والهجوم الشديد عند الفهود:

أمَـا رأيْـتَ الـرِّيحَ فـي انْخِراقِهـا
ولَـمْعةَ البـارق فـي ائتلاقِهـا
وغَيْبـةَ الشُّـؤْبوبِ فـي انْبِعاقِهـا
وطَيْـرةَ الأقْـدَاحِ فـي انْمراقِهـا
تهوي هـويَّ الـدَّلو فـي أرْشـاقِها

ويبالغ الأرَّجاني فيقول: إن الفهد كاد أن يخرج من جلده حين هجومه:

وقَـدْ كَـاد يَخْـرُج مـن جِلْـدِهِ وراءَ الطَّريـدَةِ لـمَّا اقْـتحَمْ

وللفهدة في الصيد حيلٌ أخرى، فهي تكمن للفريسة حتى لا تكاد تُرى:

تَضَـاءلُ حتَّـى مـا تَكـاد تُبِينُهـا عيونٌ لدى الصِّيرانِ غيرُ كَـواذبِ

ويقع أبو نواس في إسار لغته المغربة، التي ليس وراءها من المعاني كبير شيء، فيقول واصفًا طراد فهده:

بكُـلّ نَشْـزٍ، وبكُـلِّ وَهْـدِ
حتَّـى إذا كـانَ تُجـاهَ القَصْـد

صَعْصَـــعَها بالصّحْصَـــحانِ الجَـــرْدِ[١]
وعـــــاثَ فيهـــــا بفَرِيـــــغِ الشّـــــدِّ
بعـــد شَـــريجَيْ طَمَـــعٍ وحَـــرْدِ[٢]

على أن من أعجب الصور تصوير الفهد بالعاشق، والفريسة بالمعشـوق، فهو لا يوقع بها قسرًا حين ينقضّ، بل يريـد أن يضـمها إلـى صـدره، كقـول ابن المعتز:

تَضُـــمُّ الطَّريـــد إلـــى نَحْرهـــا كضَـــمِّ الـــمُحِبَّةِ مَـــنْ لا يُحِـــبُّ

وهو تصوير نفسي لطيف الحس؛ لأن الفهد لا يأكل، بـل يضـم فحسـب ويمسك؛ فكأنه محبٌّ معانق مشتاق. وقد رأى كشاجم أن قوله: "مـن لا يحـب"، مبالغة في وصف تشبثها؛ لأن ضم المحب من يعلم أنه لا يساعده علـى المحبـة أشد توثقًا ولزاما. وذهب إلى أنَّ ابن المعتزّ أخذ هذا من قول العرجيّ:

فتلازمَـــا عنـــد الـــوَداع صَـــبابةً أخْذَ الغَريمِ ببعض ثَـوْبِ الـــمُعْسِرِ

فالمعسر كارهٌ لتعلق الغريم به. وتشبيه ابن المعتز في هـذا حَسَـنٌ؛ لأن الفهـد مجتهد في التشبث بالظبي، والظبي مجتهد في مغالبته؛ وكذلك ضمّ المحب مـن لا يحبه[٣].

(١) صعصعها: حركها (لسان العرب: صعصع)، الصحصحان: ما استوى مـن الأَرض وجَـرِدَ (لسان العرب: صحصح).

(٢) الشَّريجان لَوْنان مُخْتلِفان من كل شيءٍ(لسان العرب: شرج).

(٣) ينظر: المصايد والمطارد، لكشاجم ص١٩٤.

ويقول الشِّمشاطي في نحو هذا المعنى:

عانَقَـــهُ ثَبْـــتُ الجَنَـــانِ والحُجَـــجْ
عِنَـــــاقَ لا صَـــــبَابَةٍ ولا بَهَـــــجْ

وهو معنى منقول، لا شك؛ عن ابن المعتز وغيره.

ويقول عبد الصمد بن المعذل:

وقد حَـــدَرْنا الـــوَحْشَ مـــن آفَاقِهـــا
يَسُـــوقُها الحَـــيْنُ إلـــى مَســـاقَها
إدْنـــاءَكَ الحُـــورَ إلـــى عُشَّـــاقِها

ولكنَّ شاعرًا آخر هو ابن طباطبا يُعبر عن هذا المعنـــى تعبيـــرًا نفســـيًا مختلفًا، فكأن الفهد وقد غضب وهو يمسكها، رضي عنها ورقَّ لها، يقول:

تُرَاقِـــبُ الـــوَحْشَ فـــي مَرَاتِعِهَـــا بعَـــيْنِ وَاشٍ ورعْـــيِ حِرْبَـــاءِ
كأَنّمـــا الظَّبْـــيُ وَهْـــو فـــي يَـــدِهَا أُعْقِـــبَ مـــن سُـــخْطِهَا بإِرْضَـــاءِ

وعلى العكس يصور ابنُ المعتز إحساسَ الطريدة، وما يدور في خلجـات صدرها وقد أدركت أنها لا محالة هالكة:

إذا مـــا رأى عَـــدْوَها خَلْفَـــهُ تَناجَـــتْ ضَـــمَائرُهُ بالعَطَـــبْ

والجميل في هذه الصورة أنه جعل الفريسة كالإنسان الذي تضـطرمُ فـي نفسه مشاعر الخوف والهلع عند مقابلة الموت.

ولا يصادفنا وصفٌ للطريدة نفسها: جسمِها وأعضائها؛ إلا نحو ما نجـده عند الشمشاطي في وصف ظبي صاده فهدُه، يقول:

عنَّ لـــه أَجْيَـــدُ أَحْـــوَى فـــي بَـــرَجْ
يُغْضِي على سِحْرٍ ويَرْنُو عـــن دَعَـــجْ
مُـــذَلَّقُ الإِبْـــرَةِ مَفتـــولُ الـــدَّرَجْ
كأَنّـــهُ خَـــرْطُ هِـــلالٍ مِـــن سَـــبَجْ

وهذه الأرجوزة من أطول الفهديات، وواضحٌ مـن بقيـة أبياتهـا أنهـا مصنوعةٌ صناعةً تبتغي إظهار القدرة الفنية.

* * *

خَـاتمة

أراد هذا البحث أن يخصَّ الطرديات الفهدية وحدها بالدراسة؛ لما تتمتع به من خصوصية وامتداد في تاريخ الشعر العربي، إلى نهاية العصر العباسي.

وقد انبرى البحث بعد استقراء شعر الطرديات وشعرائه إلى نقد مصادر هذا الشعر، وتبيين قيمتها في الرواية والضبط، وإظهار ما له الأصالة منها من غيره، فأسند إلى كتبٍ بعينها السبق كـ(المصايد والمطارد) لكُشاجم، الذي نقل منه بازيارُ الفاطمي في كتابه (البيزرة) نقلًا صريحًا من غير إحالةٍ ولا إشارة؛ ومثله (الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ الذي اقتبس ما فيه النويري من رواية قصيدة ابن أبي كريمة ولم يُشر إلى شيء؛ وككتاب الشمشاطي (الأنوار ومحاسن الأشعار) الذي انفرد برواية أشعارٍ جديدة.

وقد استنتج البحثُ أنَّ البداية الحقيقية لهذه القصائد الفهدية كانت في العصر الأموي على لسان أبي النجم العِجْلي، ثم انفتح البابُ واسعًا بعد ذلك فولج فيه الشعراءُ عبر القرون العباسية، فأنتج هؤلاء الشعراء الذين عدتهم ١٧ شاعرًا ٢٤ طردية ما بين قصيدة ومقطَّعة.

وهؤلاء الشعراء بالترتيب الزمني هم: أبو النجم العجلي (ت ١٣٠ هـ)، غيلان بن حُريث (ت ؟)، أبو نواس (ت ١٩٨)، الرُّقاشي (ت ٢٠٠ هـ)، ابنُ أبي كريمة (معاصر للجاحظ)، ابنُ طَاهر (ت ٢٥٣ هـ)، الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣ هـ)، ابن المُعْتزّ (٢٤٧-٢٩٦ هـ)، ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ)، كاتبٌ مُحْدَث لم نهتدِ إلى اسمه (ت ؟)، بعض الملوك لم نهتدِ إليه، أبو فِرَاس (ت ٣٥٧ هـ) ، الشِّمشاطي (كان حيًّا ٣٩٤ هـ)، أبو الحُسَين الحافظ (عصر كشاجم)، السَّرَّاج (عصر ابن مُسهر)، ابن مُسهر الموصلي (ت ٥٤٣ هـ)، الأرّجاني (٤٦٠ – ٥٤٤ هـ).

وقد جاء ترتيب الشعراء في البحث تاريخيًّا على العصور السياسية العباسية، ونحن نعلم أنَّ هذا التقسيم شكلي لا أثرَ له غالبًا في الفن، وإنما هو لتنظيم البحث.

وفي خلال ذلك حققنا القول في ترجمة هؤلاء الشعراء، وانتهينا إلى بعض النتائج الجديدة: كتحرير القول في أزمنة بعض الشعراء كغيلان بن حُريث، أو في أسمائهم كابن أبي كريمة، أو في أشخاصهم فيما اصطُلح على تسميته بـ(المشتبه والمختلف) كالسراج، أو في وفياتهم وأعمارهم كالشمشاطي.

وحرص البحث على ضبط الأعلام والأسماء، وكل ما يحتاج إلى ضبطٍ من قولٍ أو شعر.

ومن أهم ما خرج به البحث ثويق نسبة الشعر إلى صاحبه، ظهر هذا جليًّا في نسبة طردية واحدة فحسب إلى نواس، ونفي عددٍ من الطرديات الفهدية عنه كان يُنسب إليه، ونسبتها إلى شعراء آخرين كالرُّقاشي وغَيْلان بن حُريث، وقد فصَّل البحث القول في هذا، وردَّ الشعر إلى أصحابه، وأبقى ثلاث قصائد لم ينسبها إلى أحد، بل هي مجهولة الصاحب، ومع ذلك فقد أثبتها البحث للعصر العباسي؛ إذ راويا الديوان اللذان رويا هذه القصائد رجلان عباسيان هما: حمزةُ الأصفهانيُّ (ت ٣٦٠ هـ) وأبو بكر الصوليّ (ت ٣٣٥ هـ).

ثم درس البحث المحتوى الفني في الطرديات الفهدية، وأهم ما تختصُّ به من خصائص فنيَّة:

فانتهى إلى أن الوزن السائد في هذه الطرديات هو وزن الرجز الذي يمثل ثلثي هذه القصائد، وأنَّ ثمانيًا منها قد خالف ذلك فجاء على بحورٍ أخرى مختلفة، هي: الطويل، والمتقارب، والمنسرح، والبسيط. ودلَّ على أن هذا الخروج على الرجز إلى هذه البحور خصيصةٌ فنيَّةٌ ينبغي أن تُثبت للطرديَّات الفهدية.

أما مسألة الإغراب فقد حكم البحث للطرديات الفهديات بقلة الغريب فيها قياسًا إلى حجم ما أثر منها، وأن الأصل في لغتها الوضوح وعدم القصد إلى التصعيب اللفظي؛ وعلل ذلك بأن هؤلاء الشعراء غالبًا يريدون التصوير والحكاية، لا إبراز القدرة اللغوية. وهذا مما تمتاز به الطرديات الفهدية.

ودرس البحث التركيب القصصي النمطي للقصائد الفهدية، فرآها تأتلف في ثلاث طبقات أو مراحل: هي افتتاحٌ فيه ذكر الرحلة وتوقيتُها، ثم ذكر طريقة الصيد وعلاجِه وشخوصه، ثم ذكر خلاصة الرحلة ونتيجتها. وهذه القصة ليست قصةً مثيرةً في نفسها أو مدهشة؛ إذ هي متوقَّعة؛ ولكنها وعاء جاهز عند هؤلاء الشعراء لسكب إبداعهم في تصوير عملية الصيد وأجزائها، وعاءٌ ارتضوه منذ بداية هذا الفنّ، وساروا عليه.

وقد فصَّل البحث القول في هذه المراحل الثلاث: فبيّن كيف التزم بعض الشعراء افتتاح طَرَدياتهم بذكر (الغدو) على طريقة امرئ القيس، وكيف لم يلتزم به سائرُ الشعراء.

وأنَّ الخاتمة جاءت بذكر الغُنْم والغنيمة، وقد يُذكر الأكل منها، أما الطبخ والشواء فقلَّما يأتي. وقلنا في تعليل هذا أن الشعراء انشغلوا بالصيد ووصفه عما يكون بعده من أثر. ورأينا بعضهم يُنهي طرديته بحكمةٍ مؤثِّرة مستوحاةٍ من مشهد الصيد، مقتضاها أن الحياة زائلة.

وما بين الافتتاح والختام جاء وصف الفهد وطريقة صيده، فتَروَّى البحثُ عند ذلك يستقصي ما نسجه الشعراء من الصور، فاستخلص أنهم لم يكادوا أن يتركوا شيئًا من صفة الفهد الصائد إلا التقطوه وصوَّره، وأنهم صوّروا عملية الصيد وطريقته، وما قد يعتلج من مشاعر تمسُّ نفسَ الطارد والطريدة.

لقد أراد هذا البحث عمومًا أن يقف على هذا النوع الطريف من الشعر العربي، وأن يدلَّ عليه وأن يُبرزه، بما فيه من الخصائص الفنية والحقائق التاريخية؛ بما يؤول به إلى أن يكون لبنةً أخرى توضع في بناء الشعر العربيّ الشامخ، لبنةً عساها أن تكون نافعة في استتمام هذا البناء المشمخرّ.

* * *

المصَادر والمراجع

١. أبو نواس، لعباس محمود العقاد (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م).

٢. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، للدكتور محمد مصطفى هدارة (دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م).

٣. الأدب العباسي، ضمن موسوعة كامبردج في تاريخ الأدب العربي، تأليف نخبة، تحرير جوليا أشتياني وزملائها، ترجمة محمد بريري وأحمد عبد اللاه الشيمي (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١/٢٠١٧م).

٤. أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، للصولي، لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (مطبعة الصاوي، القاهرة ١٩٣٦م).

٥. أصوات النص الشعري، للدكتور يوسف حسن نوفل (الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١/١٩٩٥م).

٦. الأعلام، للزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (دار العلم للملايين، بيروت، بيروت، ط٥/١٩٨٠م، وط١٥/٢٠٠٢م).

٧. الأنوار ومحاسن الأشعار، للشِّمشاطي، أبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي (تحقيق صالح مهدي العزاوي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧٦م).

٨. البخلاء، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، ط٩).

٩. البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٠ هـ).

١٠. البيان والتبيين، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ).
١١. تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف بمصر، ط٧).
١٢. تاريخ الرسل والملوك، للطبري، محمد بن جرير بن يزيد (دار التراث، بيروت، ط٢/١٣٨٧ هـ).
١٣. تاريخ دمشق، لابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥م).
١٤. تاريخ رحلة الصيد والطرد عند المجتمع العباسي وخلفائه حتى نهاية العصر العباسي الأول، للدكتورة مها أسعد عبد الحميد طه (مجلة كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية، العدد الثامن، الجزء الأول، السنة الخامسة ٢٠١٨م).
١٥. تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ٣٠/٨ (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ).
١٦. التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد البغدادي (تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٤١٧هـ).
١٧. الحيوان، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م).

١٨. ديوان أبي النجم العجلي (جمعه وشرحه وحققه الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٦م).
١٩. ديوان أبي فراس، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الحمداني (تحقيق سامي الدهان، المعهد الإفرنسي بدمشق للدراسات الشرقية، بيروت ١٩٤٤م).
٢٠. ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ (تحقيق إيفالد فاغنر، المنشورات الإسلامية، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٢م).
٢١. ديوان عبد الله بن المعتز (تصحيح ب. لوين، النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان، مطبعة المعارف، إسطنبول ١٩٤٥م).
٢٢. سير أعلام النبلاء، للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (حُقق بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/١٤٠٥ هـ).
٢٣. الشعر والشعراء لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة المعارف، ط٢/١٩٦٧).
٢٤. صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجُعفي (تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣/ ١٤٠٧ هـ).
٢٥. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للدكتور عباس مصطفى الصالحي (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١/ ١٤٠٢هـ).
٢٦. العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني (تحقيق الدكتور النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١/١٤٢٠هـ)؛

٢٧. الفهرست، للنديم، محمد بن إسحاق (تحقيق رضا تجدد المازندراني، دار المسيرة، ط٣/١٩٨٨م)، و(تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢/١٤١٧هـ).
٢٨. فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٩٧٤م).
٢٩. كتاب البيزرة، لبازيار العزيز بالله الفاطمي، أبي عبد الله الحسن بن الحسين (ظنًّا)، (نظر فيه وعلق عليه محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٢م).
٣٠. المصايد والمطارد، لكُشاجم، أبي الفتح محمد بن محمود بن الحسين بن السندي بن شاهاك الرملي (تحقيق محمد أسعد طلس، دار اليقظة، بغداد ١٩٥٤م).
٣١. مطالع البدور ومنازل السرور، للبهائي، علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي (مطبعة إدارة الوطن ١٣٠٠هـ).
٣٢. معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي (دار الفكر، بيروت).
٣٣. نهاية الأرب، للنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١/١٤٢٣ هـ).
٣٤. الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ).
٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الإربلي (تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت).

* * *